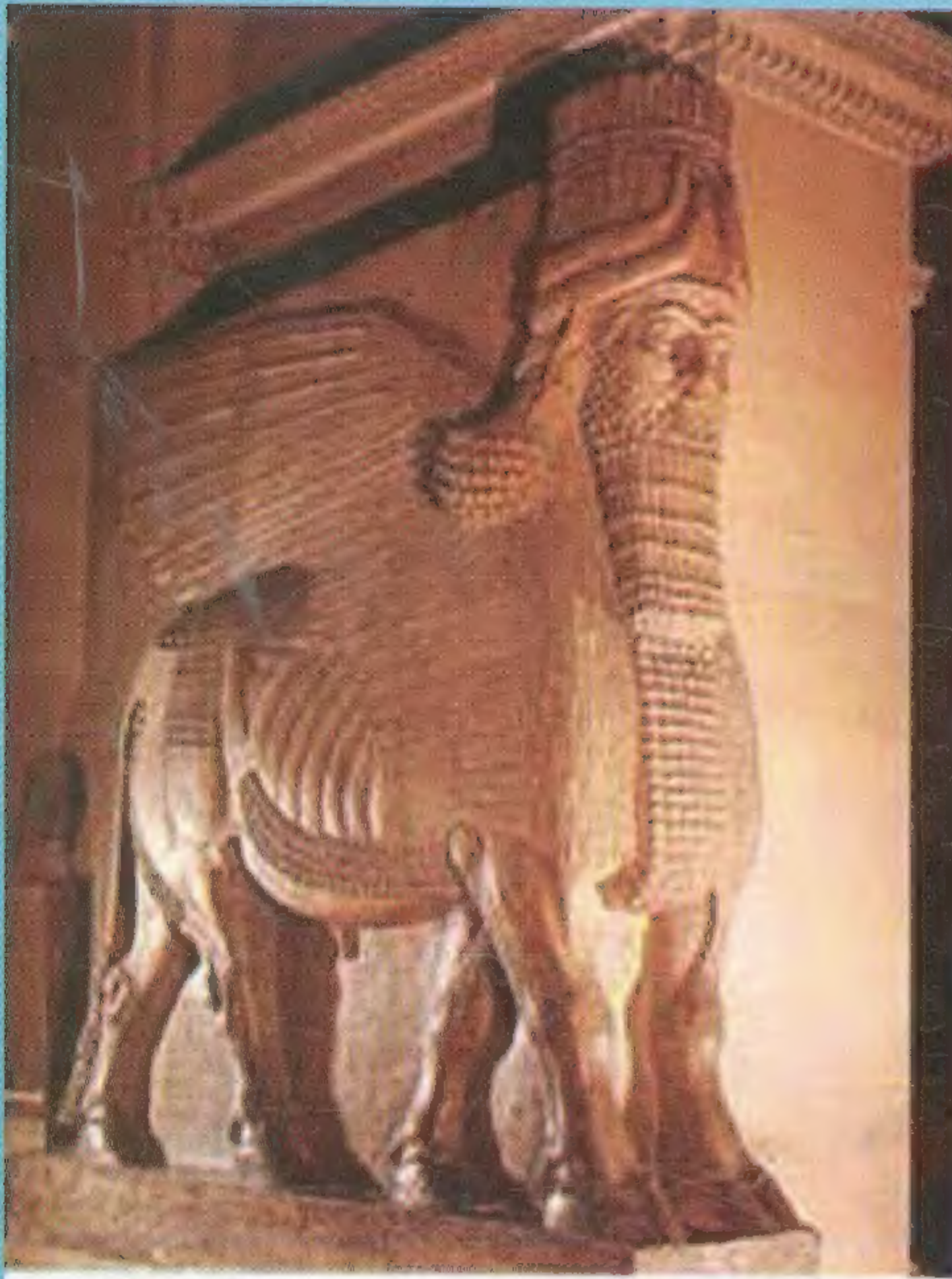


الدكتور / مزهر الخفاجي

البحث عن جنة الفردوس

دراسة

في أساطير الحضارات القديمة



الفن الاشوري



مكتبة مديوني

إهداء ٢٠٠٩
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

البحث عن جنة الفردوس

البحث عن جنة الفردوس

دراسة
في أساطير الحضارات القديمة

الدكتور
مزه الخفاجي

مكتبة مديبولي

٢٠٠٩

اسم الكتاب : البحث عن جنة الفردوس

اسم المؤلف : الدكتور/ مزهر الخفاجي

الطبعة : الاولى

رقم الايداع : ٢٣٦٥٤ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولي : 0 - 782 - 208 - 977

الناشر : مكتبة مديبولي

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

ت : ٢٥٧٥٦٤٢١ ف : ٢٥٧٥٢٨٥٤

Web site : www.madboulybooks.com

E_ mail : info@madboulybooks.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف

ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر

الي

استاذي وصديقي

الأستاذ الدكتور بهنام ابو الصوف

عرفاناً بالجميل

مزهري

المقدمة

ظل موضوع الكتابة عن جنة الخلود أو الفردوس القديم أو دلمون في الحضارات القديمة امراً شيقاً وصعباً في ذات الوقت وتكمن أهميته في كونها تحيلنا إلى مساحة كبيرة من المخيال الأسطوري والادبي القديم بالاضافة الي احتلالها مساحة أكبر من الخطاب الفكري أو الفلسفي أو العقيدي في الديانات الرسالية (اليهودية، المسيحية، الإسلامية) وعلي الرغم من أن فكرة الجنة والحصول عليها أو الاستقرار فيها كثواب للأعمال الصالحة كانت هي جوهر فكرة الخلود في المخيال الفكري والديني والاسطوري في الحضارات القديمة إلا أن الأمر في تحديد كينونتها ظل يضغط على العقل البشري والذي استمر يطرح نفسه على هيئة أسئلة تناسلتها أو انتقلت بعد ذلك بشكل أو بآخر في فكر الحضارات والديانات القديمة مع اتفاقنا مع كثير من المقولات ان الجنة كانت رغبة من الإنسان في الحصول علي الخلود والتي عبرت عنها طفولة العقل البشري ورغبته في التوازن الروحي والقيمي حيال لحظة الموت التي اكتشف انها الحقيقة الخالدة الوحيدة في تفكيره الديني ، حتي عد بعض الباحثين أن فكرة الخلود في الجنة أو في الفردوس أو عالم الآخرة ، هو بمثابة الثواب الأخير لتوأم الانسان مع قيم الخير والعدل الذي حاولت ان تكرسه الأساطير البشرية ودياناتها المرسالة فيما بعد وقد وجدنا ان المترشح في فكرة الجنة أو الفردوس مع العقد الديني الروحي في التفكير الديني ، ان لم تكن هي جوهر الاهوت الديني قديمة وحديثه .

وفي الوقت الذي اتفقت او اتسقت فكرة الجنة في مسارها التاريخي والديني منذ ظهور الإنسان واستقراره على أرض المعموره وكرسته كثيراً من تعاليم دياناته القديمة لكننا نستطيع ان نقول في الوقت نفسه أن هذا الاتفاق قد أول السؤال الأزلي ظل يتكرر على لسان الانسان حتى وقتنا الحالي حدد فيها ما هية

الجنة ومكانها وطبيعتها وقد توزعت هذه الاسئلة في كثير من الاساطير والملاحم الأدبية القديمة العراقية ، (سومرية ، وأكدية ، وبابلية ، واشورية وخليجية اخرى) ، وقد نتج عن هذا السؤال مرحلة فكرية أخرى تتمثل في اختلاف التفسيرات التاريخية والآثارية ، والتفسيرات الدينية والتي كانت تهدف كلها إلى الوصول الي جوهر فكرة الجنة أو الفردوس أو دار الآخرة " دلمون في كثير من الاساطير والملاحم الادبية القديمة وبغية تكوين فكرة شاملة عن هذا الموضوع فقد تقصينا فكرة الجنة في كثير من الملاحم الاساطير القديمة للحضارات السابقة ساردين فيها كثيراً من الأساطير والدراسات الحديثة والتي حاولت أن تحدد ابرز الملاحم والأساطير التي حددت فكرة الجنة في الحضارات القديمة ومكانها والتي ذكرت العديد من اساطير الجنة وعقت باسم (دلمون) وقد سعت هذه الدراسة الي ابراز الاراء التي حاولت أن تحدد البعد الزماني والمكاني لفكرة الجنة ، ومناقشة بعض الاسانيد والتي وأن اختلفت في تحديد مكان الجنة لكنها إتفقت على شيوع هذه الفكرة والذي تتبعناه في كثير من الأساطير والملاحم لكثير من حضارات الشرق القديم ولا يسعني هنا إلا ان اشكر من كان لهم سبق الفضل والدعم أخص بالذكر الدكتور بهنام أبو الصوف والذي كان له الفضل في استمرار الكتابة عن هذا الموضوع .

المدخل الآثاري والتاريخي والاسطوري

إن الباحث الجاد لابد أن يبدي احتراماً للدين لأنه يرى أنه مؤدياً وظيفياً إنسانياً لا غنى عنه على ما يظهر في كل عصر ومصر فقد انزل الدين على الشقي والمحروم والمسكين ألواناً من السلوى الخارقة التي تعدها ملايين النفوس أثمن من أي عون طبيعي حتى بدى الدين لكثير من الدارسين لأول وهلة مقطوع الصلة بالأخلاق وهو من صنع الخوف وقد وصف الأديب الروماني بترويتوس أن الخوف هو الذي خلق الآلهة في البداية أي الخوف من القوى المخبوءة في الأرض والأنهار والمحيطات^(١).

وبما أن دراسة التاريخ تدور حول كل من المؤقت والابددي - أي الدائم فالله خلق ابددي وهو خلق الزمن . وبما أنه لا يجوز فهم الابددي ولا وصفه من وجهة نظر المؤقت فالله موجود وحال في الزمان كله مثلما هو ابددي ، والزمن وإن لم يكن فهمه بمفاهيم الذهن فمن المقطوع به أن مما يمارسه الانسان للعقائد الدينية وإن العلاقة بين المؤقت والابددي غير مفهومه انذاك ...^(٢) لقد كان الدين مرحلة ضرورية في التطوير الجدلي للروح .. وإن وجود الدين ليس محض صدفة وليس وسيلة بشرية خالصة وإنما هو عمل ضروري من أعمال العقل في العالم هذا الامر هو الذي يجعلنا نتفق مع مقولة :- إن الدين فطرة في النفس البشرية والفطرة هي الطبيعة التي خلقها الله في جميع البشر^(٣).

(١) ول ديورانت : دروس في التاريخ - ترجمة على شلش . دار الصباح ، ٨٩ .

(٢) ويد جيرري : التاريخ وكيف يفسرونه - ترجمة عبد العزيز جاويد - القاهرة ، ص ٢٩ .

(٣) سعيد مراد : المدخل للاديان ص ٢٩ .

وإذا جاز لنا ان نطلّ إطلالة سريعة على مراحل التدين فأننا يمكن أن نقول
لقد مر التدين بثلاث مراحل كبرى هي :

(١) الديانة الطبيعية : وقصد بها جميع الديانات التي لم تستطع فيها
الروح السيطرة على بعد الطبيعة .

(٢) الديانة الفردية الروحية : وهي الديانة التي تعرف الله كونه
جوهر الأشياء بل ذاتاً وروحاً ويتأكد ذلك من خلال عبادته الإنسان القديم
للإله الشخصى الطوطم والذي تكون فيها ماهية الإله هي الشخصية فالله هو
الروح على وجه التحديد .

(٣) الديانة المطلقة : ويقصد بها الديانة التي يتحول بها الإنسان إلى
الإيمان بالحق المطلق حسب تعبير هيجل^١ ولما كان التدين عنصر أساسى
في تكوين الإنسان و لا بأس أن نقف بإختصار لنبحث في الدوافع التكوينية
للتدين فبعض الباحثين أو عزوا التدين إلى عوامل ثلاث منها أن التدين ما هو
إلا الشعور الغريزي بالخوف والفرع وعن كل ما هو مجهول وكان سبباً
دعى الإنسان إلى احترام القوى التى تؤثر في حياته كما عرفنا ذلك سابقاً
إلى الخوف من الطبيعة أو من الأمراض وفي فكرة الإصابة باللعنة من الأله
في حين يذهب البعض الآخر إلى كون الدين قد نشأ في مرحلة متقدمة
حضرارياً بتأثير العامل الأخلاقي من خلال رغبة الانسان في السمو
والارتقاء فالبحت عن معبود إذا ما فكر فيه سما بنفسه والبعض الآخر أو عز
التدين إلى الجانب الروحاني في ذات الإنسان وذلك عندما اعتقد أن لكل شئ

(١) إمام عبد الفتاح : فلسفة هيجل - دار الثقافة - ص ٦٥٩ .

روحاً والعالم الخارجي ليس مواتاً ولا خلواً من الاحساس لكنه كائن حي دافق بالحياة التي يستحيل تحليلها^١. وهذا الأمر هو الذي يجعلنا نعتقد من أن الأديان القديمة لا تشتمل على عقيدة في أغلبها، بل لا تكون إلا من مؤسسات وممارسات ومما لا شك فيه أن البشر في العادة لا يتبعون بعض الممارسات ومن إضفاء معنى عليها والعكس صحيح فقد وجدنا أن هذه الممارسات كانت تتسم بالثبات الصارم في حين أن المعنى المضاف إليها يتميز بالغموض الشديد والطقس الديني على كل حال كان الدين بشكله القديم له تغييرات مختلفة وقد وجد أن الشعيرة الدينية كانت لا تتصل بعقيدة صارمة بل بأسطورة، تستقر معانيها من الشعيرة الدينية ثابتة إما الأسطورة فمتغيرة.

وقد وجدنا أن الشعيرة الزامية في حين أن الإيمان بالأسطورة كان متروكاً لاختيار العابد والملاحظ أن التدين يتصل الجزء الأعظم منه بأساطير الديانات القديمة ببعض المواضيع المقدسة أو ببعض الشعائر الدينية لدى مجتمعات معينة بعينها وفي مناطق محددة.... وهذا الأمر هو الذي جعل بعض الباحثين يعتقدون من أن الأسطورة ما هي إلا تفسير للعرف الديني^(٢) من خلال تصور ما لا يمكن تصوره والتعبير عما يمكن التعبير عنه^(٣).

لذلك احتلت أفكار أو معتقدات الجزاء وترتيباتها المتصلة بالموت والحياة والدار الآخرة - حيزاً واسعاً في التفكير الفلسفي الديني وفي مراحل ممتدة من

(١) سعيد مراد: / المدخل إلى الأديان ص ٤٠.

(٢) روبرتس سميث: ديانة الساميين ص ١٧ - ص ١٩.

(٣) ماكس ملر: بشأن الدين ونموه ص ٧٤.

أعماق التاريخ حيث شغل الاعتقاد بالدار الآخرة فكرة الكثير من حكماء الحضارات القديمة بما يسمى عندهم بإسم الولادة الجديدة وهذا الأمر هو الذي جعل العالم (تايلور) يقول أن الإنسان كان أمام ثلاث معتقدات عامة بشأن وجود الشبح الروحي بعد الموت .

الاعتقاد الأول : بأن الأشباح ترفرف حول الأرض وتبدي اهتماماً بالأحياء وأنها أحياناً تقوم بزيارة منازلها والاعتقاد بوجود مكان محدد في عالم آخر تقيم فيه الروح كالجزر أو العالم السلفي أو الجبال أو السماء ، وهذا الاعتقاد يقع في واحد من تصنيفين يسميهما (تايلور) بنظرية الاستمرار ونظرية الحساب ، فمن الاستمرار تستمر الحياة بشكل مشابه للحياة الأرضية أما الثانية فإن الأرواح تكافأ ، وتحاسب بحسب أعمالها على الأرض وبالطبع فإن النظرية الثانية يكون لها أثر خاص على السلوك الاجتماعي لدى الشعوب التي تأخذ بهذا الاعتقاد ^(١) .

كانت الألهة بالنسبة للإنسان القديم هي الإله التي يتصورها وكل إنسان يتصور الإله تصوراً خالصاً له من حيث مستوى وعيه وثقافته ، ومن يصفه أو يحدد أو يتصوره وفق هذه المستويات ... ولقد مرت الأمم السابقة في اعتقاداتها الدينية في الإله بعدة مراحل بدأت بالتعدد ثم التمييز والترجيح ثم الوجدانية الناقصة وفي هذه المرتبة الثالثة يكون العقل الإنساني قد بلغ درجة من الرقي المعرفي .

... إن لغز الحياة والموت ومصير الإنسان فيما بعد الموت ، لا يزال يشغل حيزاً كبيراً في تفكير الإنسان ومبعث قلق وحيرة لازمتا حياته منذ أن وجد على هذه

(١) أبريل كارنر : هؤلاء درموا الإنسان - ترجمة منى الشريف - بيروت ١٩٩٦ ، ص ٩٣ .

الأرض قبل أكثر من مليون عام . واستنتج عن ذلك معتقدات وشعائر دينية متنوعة مختلفة احتلت مكان الصدارة في آداب الحضارات المختلفة وأساطيرها وأنماط سلوك أفرادها ونظرتهم العامة إلى الحياة^١ وقد عبرت عن هذا الهاجس خير تعبير ملحمة جلجامش والتي يخاطب فيها بطلها (اتو - نبشتم) جلجامش حين قصده ليسأله عن سر حصوله على الخلود بالرغم من أنه من البشر الفانيين :

إن الموت قاس لا يرحم .

هل بنينا بيتاً يقوم إلى الأبد ؟

وهل ختمنا عهداً يدوم إلى الأبد ؟

وهل يقسم الأخوة ميراثهم ليبقى إلى آخر الدهر ؟

وهل يرتفع النهر ويأتي بالفيضان على الدوام ؟

والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمس حتى يحل

أجلها ... (٢).

وقبل أن نسترسل في تحليلنا لمفهوم الجنة في الأساطير القديمة لابد أن

نعرف أو نحدد مفهوم الجنة وفقاً لمرجعياتها اللغوية والفكرية .

الجنة وجمعها جنان ، ولا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب

والجنة عنهم وعند الاقوام التي سبقتهم هي دار النعيم في الدار الآخرة والجنة

(١) طه باقر : مفهوم الزمن في حضارة وادي الرافدين وعلاقته بالخلود . جملة أفاق عربية بقداج ١٩٧٩ ص ٤٧ .

(٢) طه باقر - مفهوم الزمن .

هي من الجنان ذات الشجر الكثير والنخل وسمت جنة وذلك لتكاثر أشجارها بالتفاف أغصانها .

أما الفردوس : فهي البستان ، والوادي الخصيب، أو الروضة ، والفردوس : وهي حديقة في الجنة والفردوس لفظ يوناني "Paradiesos" والذي يعني (حديقة) ، ويرد اللفظ في اليونانية تارة بالمعنى الأصلي وتارة بالمعنى الديني .

وهذا التقارب بين مفردتي الجنة و الفردوس فالجنة هي دار النعيم في الآخرة والفردوس حديقة في الجنة من هنا يمكننا القول أن الجنة هي الأصل والفردوس جزء فيها ، ونرى أن مصطلح الفردوس إذ يستخدم للدلالة على الجنة فذلك من باب استخدام الجزء للدلالة على الكل . أما من ناحية الدلالة والإيماء ، فلا فارق بين استعمال المفردتين وتباين الآراء حول سبب نشوء " فكرة دلمون " فهي بين أن تكون " عالماً مفقوداً " وبين أن تكون " حلماً " تجلى في أدبيات البشر التي تصف " عالماً قائماً " عالماً لا مرض فيه ولا عناء ولا شيخوخة ولا موت.

ووفقاً لهذا الفهم فإن الفكرة القائلة بأن الجنة عالم مفقود ، ففي ذلك تحديد نسبي لنشئها في " فجر الزمن " حين لم يكن العالم إلا " عالم الوعد " ... ويرجع بعضهم فكرة نشوء الجنة التي تحول عمل الإنسان من متعة ورغبة إلى تحقيق الذات ، إلى عبودية وأغتراب ، ومن طقس جماعي معرض إلى وحدة قاسية بلا هدف أو غاية ، ويتحدد هذا التحول بزوال المشاعر الابتدائية وفقدان الفرد سلطته إلى وسائل إنتاجه لصالح الآخرين فظلت رغبة التغيير كامنة في الفرد لذلك كانت أساطير دلمون لدى الشعوب في الحضارات

السابقة ، تعبيراً سلبياً عن رغبته في التغير لم تخرج إلى حيز الفعل ، أو فعل تم إحباطه ، فصار حلمًا ينتظر .

ويذكر العالم "جون غري" : أن فكرة الجنة تعكس أنبهار البدو بخضرة وادي الرافدين ، ولعل الفكرة المؤسسة على طرد آدم من الجنة ، جاءت انعكاساً للإحساس بالحرمان الذي كان البدوي يعاني منه نتيجة للطرد المستمر الذي كان يتعرض له هو وقطعانه من سكان الأراضي الزراعين هذا الأمر ذهبت إليه التوراة إذا قالت أنا اللعنة على الإنسان بسبب عصيان حواء أمر الله هي التي جعلت الله يخرج آدم من جنته الخضراء وجعل آدم يمتهن الفلاحة وأن لعنة الخروج حلت كلجنة على الإنسان الذي عصى أوامر الرب .

أما مدرسة التحليل النفسي فإنها تفسر أسطورة الجنة على أنها انعكاس للحالة التي عاشها الفرد في رحم أمه ، فوضع الإنسان الأول في الجنة ، وعيشه السهل دونما مشقة أو جهد أو قلق ، هي صورة لما كان عليه الإنسان في عصره الأول في رغبته في ممارسة حريته وهي حالة سوف يفتقدها الإنسان في حياته التالية وسوف يبقى في حالة من الحنين الدائم لها وقد تجلي حنينه هذا في كل ما أنتج لا شعوره من أساطير تتعلق بفردوس قادم سيؤوب إليه بعد نهاية من عناء هذه الحياة

وهذا يعني أن العصور القديمة قد شهدت إنتاج أساطير قد عبرت عنه بصياغة منظومة خيالية وقد ظل فيها القدماء واقعين تحت سحر طفولتهم الأولى ، ويرى آخرون أن الجنة تعبير وتعويض لما ينقص المرء وتوقع لما ينتظر ويرجو وعلى هذا يميز الباحثين بين فردوس دنيوي ، وفردوس

سماوي ، الفردوس الدنيوي يرمز إلى شوق أبناء المدن المنهكين لمباهج الريف البسيطة ، أو حنين الفقراء المحبطين الهمة الطامحين إلى ملاذ أمن والذي صار نتاجاً طبيعياً براءة أو طفولة العقل البشري .

الجنة

عدن ، دلمون ، الفردوس

الاسطورة ، الزمان

المكان المفترض

الجنة الرمز والأسطورة والمكان

جاء في الكتاب المقدس :

[و غرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً وجعل هناك الإنسان الذي جبله]

التكوين : فصل الثاني : ٨

وجاء أيضاً : -

[وكان نهر يخرج من عدن فيسقي دلمون ومن ثم يتشعب فيصير أربعة

رؤوس اسم أحدهما فيشون (سيحون) وهو المحيط بجميع أرض الحويلة

حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيد. هناك المقل وهجر الجزع. واسم النهر

الثاني جيجون وهو المحيط بجميع أرض الحبشة. واسم النهر الثالث حداقل

(دجلة) وهو الجارى في شرقي أور والنهر الرابع هو الفرات] التكوين : فصل

ثاني ١٠ - ٤

لقد جرت محاولات عديدة في الماضي من قبل مؤرخين ورجال دين

وباحثين في مختلف حقول المعرفة، لتشخيص مكان الجنة او (دلمون) التي ورد

ذكرها في العهد القديم (التوراة) وللتعرف على النهرين الأولين من الأنهار

الأربعة (أى سيحون وجيجون، إذا كان دجلة والفرات معروفين تماماً في كل

مراحل التاريخ). وقد وضعت عدد من الآراء في هذا الصدد كان أبرزها ما

أقترحه بعض آباء الكنيسة وعدد من المؤرخين الكلاسيكيين من أن: [موضع

دلمون قد يكون في (منغوليا) أو (الهند) أو (الحبشة) أو (الاناضول) مدعين

رأيهم هذا بقدّم تلك الأصقاع واحتوائها على سهول واسعة وأنهار عظيمة كالنهر

الأصفر، ونهر السند، والكنج، وقد حاولت كتاباتهم التاريخية أن تؤكد من أن

نهرى (سيحون وجيحون) قد يكونا هما نهرى العالم القديم العظيمين (النيل والكنج) كما كانت بلاد الأناضول من المناطق التى اقترحت كمكان للجنة الموعودة أى احتمال وجود جنة عدن فيها: وذلك بسبب كون منابع دجلة والفرات تتبع في جبالها وأن جبل (آارات) هو المكان الذى وقفت عليه أورست عله سفينه نوح .

بقت هذه الأفكار وغيرها سائدة قرون عديدة إلى أن جاءت عمليات التنقيب المكثفة في منتصف القرن الماضى وأواخره وأوائل القرن الحالى في العراق وما قدمته من مكتشفات كبيرة في حقول الفن، واللغات القديمة، والعقائد، والآداب والملاحم والأساطير، فجعلت الباحثين ومؤرخين الحضارات والأديان يركزون اهتمامهم في هذا الوادى وحضاراته المتعاقبة وما أفرزته ترجمات وقراءات آلاف الرقم الطينية المكتشفة في أعماق مدنه القديمة الشهيرة والمدونة بالخط المسمارى باللغات السومرية "الأكدية" و"البابلية" و"الأشورية" من معلومات مذهلة ألقت الضوء على كثير من أصول الأفكار والفلسفات والعقائد والقوانين والآداب التى كانت مجهولة للعالم الأكاديمي حتى ذلك الحين .

كما أظهرت للعالم عظمة وأهمية التراث الروحي والثقافي الذى خلفه بناء الحضارة الأوائل في وادى الرافدين وأماطت اللثام عن خلفية المعلومات والرموز والأفكار الواردة في كثير من أفكار العهد القديم، وأولها سفر التكوين، وأكدت للباحثين المختصين بأن الكثير مما ورد في المؤلفات العبرية اللاحقة من أفكار، أو ربما كان كل المكتوب في التوراة مقتبسا من الأساطير العراقية القديمة، مباشرة أو عن طريق الكنعانيين سكنة فلسطين الأصليين وللحديث عن

الجذر اللغوي لكلمة (عدن) والواردة في كتاب التوراة فيمكننا أن نقول أن كلمة عدن "Edin, Eden" في التراث اللغوي العراقي القديم قد جاءت لأول مرة من بلاد سومر، جنوبي العراق، منذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد في اللغة السومرية فالكلمة Eden تعني السهل أو الخصب أو المخضر أو المزروع .

أما كلمة آدم Adem فهي تعني كلمة يؤدي معناه الي شيء شبيه: بالاستقرار في السهل الخصب وإن الكلمتان تعودان إلى تراث لغوي قديم سبق السومرية في القسم الجنوبي من وادي الرافدين أطلق عليها الباحثون (ينبو لانذر بركر) لغة طلائع الفراتين أو الجزريين، أو لغة أهالي (عصر العبيد) من أوائل مستوطني السهل الجنوبي من العراق في مطلع الألف الخامس قبل الميلاد.

ألا أن أمثال هذه الكلمات وغيرها كبعض أسماء المدن (اور) (واوروك) واريديو وبعض الحرف (كالفخار والحداد) والأنهار قد دخلت لأول مرة في التاريخ.

أما كلمة حواء فإن اسم حواء Ene فانه لم يظهر صراحة في اللغة السومرية أو في المدونات المسمارية اللاحقا، إلا أننا وجدنا ان مفهوم حواء أم البشر، وخلقها من ضلع آدم، له جذور في إحدى الأساطير السومرية (والتي ترجمها صموئيل كريم) التي تحكي أن الإله إنكي إله المياه أغضب الإلهة (نخرساك) إلهة الأرض بالتهامه ثمانية من النباتات السحرية التي أنبتها فدعي عليه بلعنة الموت وانسحبت من بين الآلهة واختفت.

فمرض (إنكي) مرضا شديداً وتعطلت ثمانية من أعضائه وأوشك على الهلاك. فتحايل الآلهة على نخرساك لتعود إلى مجتمعهم (Panthifon) وتشفى

(إنكي) إله المياه. فعادت الإلهة للأرض بعد إلحاح شديد وأوجدت ثمانية معبودات لشفاء أعضاء إنكي المعطلة. وكانت أحد هذه المعبودات الثمان تدعى: نن - تي Nin - Ti أى سيدة الضلع، إذ أن كلمة تي Ti في السومرية تعني الضلع و Nin سيدة. فالآلهة تي إذاً متخصصة في شفاء الأضلاع ويطلق عليها السيدة مانحة الحياة أيضاً Lady who makes live أى " أم البشر".

أما عن فرضيه الطرد من الجنة وعن فكرة الفردوس المفقود، أو الخروج من الجنة بسبب غضب الآلهة فنقرأ في (ملحمة أنمركار) و(بلاد أرتا) "السومرية" وعن زمن السلام والنعيم والأرض عاشها الإنسان ثم سقط من نعيمه هذا بسبب غضب الآلهة عليه.

وهذا الأمر كما تقول الأسطورة قد وقع في فترة من فترات الزمان، لا وجود للأفاعي ولا السباع فيها، لا وجود فيها للكلاب المتوحشة ولا الذئاب، لا وجود فيها للخوف والرعب، لا منافس فيها للإنسان. كانت فترة من فترات الزمان، أن حل الأمن والسلام في أرض سومر، أرض الشرائع السماوية، كان العالم كله فيها يعيش في وحدة متكاملة، يصلي فيها لأنليل بلسان واحد، حتى جاء زمان غضبت فيه الآلهة على الإنسان...

في هذه المقاطع نرى أن السومريين هم أول من تحدث عن الجنة التي عاش فيها الإنسان زمناً قبل سقوطه نتيجة لغضب الآلهة عليه.

الآن نحاول مع آخر الدراسات الجغرافية والجيولوجية والتاريخية واللغوية، التعرف على مكان "جنة عدن" أو "جنة دلمون" المقترحة استناداً إلى الأدلة العلمية التي وفرتها كل هذه العلوم مجتمعة ولدينا هنا معلومة جديدة التي تؤكد

أن تلك الجنة قد اختفت الآن تحت ما يزيد على مائة متر من مياه الخليج العربي، إذا كان موضعها عند رأس الخليج حيث ينتهي سهل العراق الرسوبي يوم كان جافاً منذ أكثر من عشرة آلاف سنة وإليك تفسير ذلك بحسب الأدلة العلمية واحداً واحداً.

لنفحص أولاً الأدلة التي تضع جنة عدن كمكان على رأس الخليج العربي لعلها تعيننا في تحديد مكانها ولعلنا نحسم الجدل الاثاري والتاريخي الذي استمر طويلاً وإلى يومنا هذا.

* يشير (سفر التكوين) إلى أن جنة عدن تقع إلى الشرق ، أي بمعنى إلى الشرق من فلسطين ، وأن تحديد اثنين من الأنهار الأربعة المشار إليهما في هذا السفر ، وهما (دجلة والفرات) هو أمر سهل وواضح . يبقى الأمر أكثر تعقيداً فيما يخص نهري (سيحون وجيحون) . أو جيحون (أو فيشون كما ذكر في سفر التكوين) .

يحيط بأرض الحويلة . وأرض الحويلة يمكن تشخيص موضعها بالعودة إلى العهد القديم (سفر التكوين فصل ١٠ : ٧ ، وفصل ٢٥ : ١٨) الذي يقدم لنا قائمة بأسماء الأماكن الواردة في ذلك السفر من أن موضع (الحويلة) يقع في الأطراف الشمالية الشرقية من الجزيرة العربية ، بإمتداد الشمال الشرقي دخولاً في أرض الرافدين ، تؤكد إشارة العهد القديم هذه الصورة الفضائية للمنطقة (Land sar) إذ تبين هذه الصور بوضوح مجرى نهر قديم ، يمتد عبر أراضي الجزيرة العربية الشمالية الشرقية (السعودية والكويت) وهو جاف حالياً وتعرف بقايا هذا النهر (بوادي رماح وبوادي البطن) . وهذا النهر الجاف ،

الذي كان ينتهي شرقاً فوق رأس الخليج ، يخرق أرضاً غنية بالمقل (صمغ نباتي) ولا يزال يتواجد في هذه المنطقة من أرض الجزيرة العربية كذلك الذهب الذي كان يستخرج من مناجمه هناك في الخمسينات من القرن الحالي . هذا فيما يخص النهر الثالث (سيحون) .

تبقى مشكلة النهر الرابع (جيحون)، الذي يحيط بأرض الحبشة بحسب وصف العهد القديم .

في الواقع أن نسخ العهد القديم الاولى باللغة العربية فهي كانت تشير إلى أرض (كوشى) وليس الحبشة لأن مترجمي القرن السابع عشر لهذا الكتاب والقرون التالية أخرجوا نسخة مترجمة منه عرفت بتوراة (الملك جيمس) بإنكلترا . قد فسروا كلمة كوشى بأثيوبيا (الحبشة) والتي كما نعرف أن موضعها في أفريقيا الشرقية . وبهذا التفسير الخاطئ حير هؤلاء المترجمون الباحثين سنين طويلة بشأن موضع النهر الرابع (جيحون) .

وقبل أن نجزم هل أن أرض (كوشى) هذه هي الجنة لابد أن نقف عند هذا الحد ونذهب لفصل بين (عدن ودلمون) في الحضارات القديمة وربما هذا الامر يعيننا في تحديد معنى الاسم ويوصلنا إلى هذا الفهم وإلى تحديد أولي للمكان ...

إلا أن إعادة تقييم بعض الأسماء والمصطلحات الجغرافية التي وردت في أسفار العهد القديم في النصف الأول من القرن الحالي من قبل أساتذة وباحثين متخصصين بعلم آثار العهد القديم والمياه الوفيرة وكيف فقدوا ذلك كله بتقبلهم الزراعة وتكرهم لعطاء الطبيعة هذه فكانت خطيئة أولئك الرعاة السعداء، وهي خطيئة آدم وحواء وطلائع الفلاحين الأوائل أيضاً الذين أعطتهم

الطبيعة (الآلهة) كل شيء إلا أنهم تحولوا إلى فلاحين للأرض فحق عليهم الطرد من دلمون، جنة الرعاة، أو فردوس الحياة الحرة السعيدة الخالية من العمل والتعب والكد في الأرض.

بقت هذه الروايات والقصص، تنتقل شفاهاً لأكثر من ألفي سنة وقد عرفها وحفظها العراقيون الأوائل في جنوبي الوادي فسطروا هذه الذكريات على الطين بشكل أسطورة وأحياناً بشكل رمزي.

أما كيف وصلت هذه الحكايات إلى العراقيين وللإجابة على هذا التساؤل هناك احتمالين قد يكون في أي منهما أو كليهما الأصل الذي أفشوا فيه حكاية أو أسطورة دلمون أو الفردوس المفقود.

أولهما: أن سكنة العراق الجنوبي الأوائل الذين سبقوا السومريين خلال الآلاف الخامس ق.م. الذين نطلق عليهم أثارياً اسم سكنة (عصر العبيد) قد أبحروا جنوباً بمحاذاة الساحل الشرقي للجزيرة العربية حيث استقما من مستوطنات على ذلك الساحل زمنياً والتقوا هناك بأحفاد الرعاة الذين فقد أجدادهم أراضيهم الخصبة، واستمعوا منهم لإحداث تلك القصة المربعة التي حدثت لأجدادهم فما كان من هؤلاء الأحفاد إلا أن يتناقلوها جيل عن جيل شفاهاً، وليضيفوا هذا الأمر إلى ما عرفوه من قصة دلمون الخضراء المفقودة التي ابتلعها مياه الخليج. وقد ظل هؤلاء العبيديون العراقيون أسلاف السومريين بعد عودة الكثير منهم إلى جنوبي العراق يستعيدون هذه القصة حتى أصبحت كأنها قصتهم وعندما طور أحفادهم السومريون الكتابة أدخلوها بأدابهم كأنها واحدة من أساطيرهم.

ثانياً : ربما يكون أولئك الأسلاف العبيديون جنوبي العراق أنفسهم قد استجابوا للضغوط المفروضة عليهم للاستقرار والعيش بأكواخ وقرى فلاحية وما يتطلب ذلك من تعب وجهد في الفلاحة والزراعة والرى وتشيد القرى والدخول الى مجتمع يتطور بكل مشاكله الجديدة ومتطلباته المتزايدة. فصارو يجدون راحة وسعادة في استعادة الماضي الذهبي والماضي السعيد حين كانت الحياة أكثر عذوبة ويسر ورخاء وبساطة وراحة بعيداً عن الكد في الأرض، حين كانت الطبيعة تقدم لهم كل شيء جاهز فظلوا يستعيدون هذه القصة من الماضي المفقود إلى الحلم الضائع، الفردوس الأرضي، حيث الخضرة، والمياة الوفيرة. والنعيم الدائم، حتي تأصلت هذه الأحاديث في ذكرياتهم ومأثوراتهم الشعبية وعندهم أخذها أحفادهم من السومريين ودونوها في آدابهم على أنها حكاية لجنة فكان أجدادهم يقيمون فيها ثم طردوا منها بسبب غضب الآلهة عنهم.

دلمون وليس عدن هي جنة السومريين وأرض الخلود

في حدود عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد ارتفعت درجة الحرارة في العالم عن معدلاتها خلال الألفي سنة السابقة مما أدى إلى زيادة في مياه البحار وارتفع ماء الخليج العربي تبعاً لذلك وابتلع ما كان على شواطئهم الدنيا من أراضي خضراء ومواقع ومستوطنات بشرية كانت مقامة في أقسام من أراضيها الوطنية (حوضه)، حتى وصل الحد الذي هو عليه الآن. ثم استمر به الارتفاع خلال أوائل الألفية الرابعة قبل الميلاد فصارت مدينتي (أور - وأريدو) موانئ عند سواحلها الشمالية. وربما تكون هذه الزيادة في مياه الخليج في هذا الوقت بالذات سبباً لكارثة الفيضان الكبرى التي كانت قد دخلت الأساطير السومرية التي كان بطلها (أتونا بشتم) العراقي والتي انتقلت أحداثها إلى العهد القديم أيضاً.

وكان الزيادة الأخيرة في مياه الخليج قد أتت على ما تبقي من جنة (عدن) فهرب ساكنوها والتجئوا إلى جنوبي العراق، كما التجأ قسم كبير منهم إلى سواحل الجزيرة العربية الشرقية وجزره البارزه كالبحرين وقطر وفيلكه لهذا نجد أن السومريين في بعض أشعارهم وملاحمهم يتغنون دوماً بأن أجدادهم قد جاءوا من البحر (أوانهم من البحر) واستوطنوا جنوبي وادي الرافدين بعد أن غمرت مياه الخليج أراضيهم ومستوطناتهم وفقدوا جراء ذلك جنتهم الخضراء أو فردوسهم الأرضي وبمرور الزمن تحولت جنة السومريين وأرض الخلود من ذكرى غامضة في أرض مفقودة ابتلعها مياه البحر إلى حقيقة وقد صحت الكثير من الإكتشافات الأثرية مما جاء في الترجمات التوراتية السابقة من

أخطاء جغرافية أو تاريخية أو أثولوجية استناداً إلى مكشفات علم الآثار واللغات والأجناس البشرية كما عرفنا سابقاً.

أما كلمة كوشى فقد ذهب عالم الآثار الشهير Speiser سبايزر من كونها أى كلمة (كوشي) قائلاً كان لها علاقة أو كانت قد ذكرت في كونها أرض الخلود وناقش أصلها الذي جاء من كلمة (كاشو) أو (الكاش) وهم من الأقوام الذين استولوا على الحكم في (بابل) في مطلع القرن الخامس عشر قبل الميلاد بعد إنهيار الدولة البابلية القديمة التى أسسها العاهل البابلي العظيم (حمورابي ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق . م)^١، وبقوا في البلاد طيلة ما يقرب من أربعة قرون حتى طردهم الآشوريون من العراق في القرن الثاني عشر. وأن أصل بلادهم هي الأطراف الشرقية من وادى الرافدين وخلص Speiser سبايزر إلى أن "جيحون" هو نهر الكارون الذي يجري باتجاه الجنوب الغربي ويصب في شط العرب. كما ناقش عبارة العهد القديم التى تشير إلى (النهر الذي يخرج من عدن فيسقي دلمون ثم يتشعب إلى أربعة رؤوس)، قائلاً بأنها أربعة أنهار تجرى قبل تكوينها نهراً واحداً يسير مخترقاً جنة عدن .

ويضيف سبايزر مؤكداً رأيه بأن الوصف الذي ورد في العهد القديم بصدد النهر المتشعب هو جاء أصلاً نقلاً عن ذكريات فولكلورية شفاهية دونت بعد آلاف السنين من قبل أناس لم يتعرفوا على المنطقة أصلاً كانوا ساكنين بعيد عنها بمئات الأميال وبهذا ينتهي Speiser سبايزر إلى القول أن : جنة عدن

(١) سادس ملوك مملكة بابل القديمة واسمه مكون من كلمتين حمو بمعنى الام ورابي ومعناها العظيم أو الكثير وقد حكم ثلاثة وأربعين سنة وبعد في اعظم ملوك الواصل للقديم للمزيد طه باقر : ١ / ٤٢٤

واستناداً إلى الأدلة الإشارية والجغرافية اللغوية كانت في مكان ما عند رأس الخليج العربي، أي في ذلك الزمان الذي كانت فيه الأنهار الأربعة كلها تتجمع بمجرى واحد وتسير في بقعة كانت حينذاك جافة من أرض الخليج العربي .

ولما عادت فترة الرطوبة من جديد (العصر الحجري الحديث) وهطلت الأمطار بغزارة كالسابق في منطقة الشرق الأول التي تشكل من العراق ومنطقة الخليج والجزيرة العربية فعادت الخضرة إلى سواحل الخليج الشرقية والشمالية من الجزيرة العربية المطلة على الخليج العربي وصارت صالحة للسكن من جديد.

إن قصة الفردوس المفقود السومرية التي دونت بعدئذ إنما كانت تحكي ذكريات ومشاعر الرعاة والصيادين التي يصفون فيها الحياة السعيدة في الأرض الخضراء والمراعي الفسيحة. وفي هذا الرأي ربما يوصلنا إلى تحديد أولي لمعنى "دلمون" أو "عدن" أو "الجنة" موقنين من أنها كفكرة كانت تعود إلى فلكلور ديني قديم يخص منطقة الشرق القديم وأن الأقوام التي كانت قد أمنت به قد تناقلته شفاهاً جيل بعد جيل ، وصار واضحاً لدينا أن المكان كتحديد جغرافي يقع بين العراق والخليج العربي وليس كما يذهب البعض إلى كونه في الأصل في منطقة كوشى " أو كوش " وأن الجزم الآن في تحديد المكان الحقيقي بدون معرفة جذوره الفكرة أو الأسطورة في مجتمعات الحضارة القديمة يبدو حكماً متسرعاً الآن ... لكن لا بأس لو نقلب فكرة دلمون في الحضارة القديمة وهي عدن أو الجنة أو الفردوس ... ونقتضى أثرها في كثير من المقولات التاريخية والتوصيفات الجغرافية.

دلمون في الأساطير العراقية السومرية القديمة

لقد جاء ذكر دلمون في مطلع الألف الرابع ق.م، في الأساطير السومرية الشهيرة التي بدأت جذورها الأولى في عصر العبيد كما اسلفنا سابقاً (أواخر الألف الخامس ومطلع الألف الرابع ق.م): " أنكي وننخرسالك "، إنكى ونظام الكون، وجلجامش وأرض الحياة، رحلة إنكى وننخرسالك إلى نفر، في منطقة القرنه^١ في العراق حيث يلتقي النهران دجلة والفرات، وحيث غابات أشجار النخيل كثيفة، والأشجار الباسقات متوفرة والخضرة طاغية والحقول وفيرة الغلال، ومكانها عند ملتقى الأنهار، كما أنها كائنة إلى الشرق من عدد من مدن سومر الواقعة على حافات الأهوار، ومكانها موضع شروق الشمس (أوتو)، يسكنها أوتانا بشتم، الناجي من الطوفان، وأنها شاطيء البلاد، ومسكن (إنكى) الذي يحكم جميع المياه العذبة، كما أنها أرض العبور وموطن السيدة النقية ننسكيلا "Nanskill" ابنة الإله إنكى.

ولو عدنا إلى بعض مما أورد عن (دلمون) في عدد من الأساطير السومرية الأولى يذهب المرء في خياله إلى أن كل هذا الوصف ينطبق في الغالب على مكان ما عند ملتقى النهرين في منطقة القرنه من جنوبي العراق وهي بهذا تختلف عن دلمون في العصور التاريخية اللاحقة التي لعبت دورا اقتصاديا منها في منطقة الخليج جنوبي وادي الرافدين والتي لم تذكرها أية

(١) القرنه: أحد المدن الواقعة في محافظة للبصرة جنوب العراق

نصوص تاريخية قبل سنة ٢٢٠٠ ق.م، كما ليست هناك أية أدلة على علاقات تجارية مع وادي الرافدين قبل هذا التاريخ.

والبعض الآخر يذهب الى غير ذلك فيقول أن "دلمون" الأخيرة هذه كانت تؤلف مملكة بحرية تقع عاصمتها في جزر البحرين وتضم معظم الساحل الشرقي من شبه الجزيرة العربية الكائن بين (فيلكا) في الشمال وحتى الجبل الأخضر في عُمان.

ويؤكد ذلك السيد لوفتس، المقيم البريطاني في البصرة، والذي كان قد انبهر في أواسط القرن التاسع عشر بمشهد الخصرة الطاغية في منطقة القرنة (العراقية) والمياه الوفيرة فكان أول من قرنهما بمكان جنة عدن التوراتية منتصف القرن العشرين لكن يبقى هذا مجرد رأي قائم على قناعة شخصية وليس قناعة علمية أو أثرية حسب ما نعتقد أما الأستاذ: سبايزر أستاذ الآثار السومرية في جامعة بنسلفيا فذهب إلى نفس الرأي بصدد موقع القرنة ومكان دلمون التوراتية في مقالته الشهيرة المسماة (انهر دلمون) التي نشرها عام ١٩٦٧.

كانت "دلمون" جزيرة تتمتع بقدسية خاصة، وفيها آلهة عبدها أهل العراق القدماء، وقد وصفت بكونها (أرض الخلود التي لا يوجد فيها مرض أو موت أو حزن...)، كما جاء في النص الذي نشر لأول مرة في عام ١٩١٥م، وترجمه فيما بعد عالم السومريات "كريمير" Kramer والمؤلف من ٢٧٨ شطراً،

والمنسق على هيئة ستة أعمدة، ويحمل عنوان إنكي^(١)، و(ننخرساك). يقول النص:

مقدسة هي المدينة التي منحت لكم، ومقدس بلد دلمون النقي مقدس
سومر...، ومقدس بلد دلمون، بلد دلمون مقدس، بلد دلمون نقي، بلد دلمون
مغمور بالنور، متميز بالإشعاع، يوم أقيم الأول في دلمون، حيث استقر إنكي
مع زوجته، أصبح المكان هذا نقياً ومشعاً بالنور، الغراب لا يصيح في
دلمون، والحجل لا توصوص والأسود لا تقتق أحداً، والذئب لا يلتهم الحمل
الوديع، لم يكن الكلب يتقن إخضاع الغزلان، ولم يكن الخنزير البري يأكل
الحبوب، لم تكن طيور السماء تأتي لتتقر شعير الأرملة وهو يجف على
السطح، ولم تكن الحمامة تحنى رأسها، ولم يكن مريض العينين يشكو من
مرض عينيه، ولا مريض الرأس كان يشكو من مرض رأسه، لم تكن أي امرأة
عجوز تقول "إنني عجوز"^(٢).

كما يتخلل النص معلومات عن كيفية تعيين الإله إنكي أبنته: لتكون الآلهة الحامية لدلمون، حيث جاء في النص.

(ويجيب الأب إنكي أبنته نين – سيكيلا ليقم أوتو^(٣) (إله الشمس) المستقر في السماء بإحضار المياه الحلوة من الأرض. من مصادر المياه من الأرض، دعيه يجعل دلمون تشرب من المياه بوفرة، فلتنتج أطيانك وحقولك قمحها، لتتحول مدينتك إلى مرفأً للأرض).

(١) د. فاضل عبد الواحد أهم الشخصيات ودورها في تاريخ العراق القديم بغداد ص ١٠٦.

(٢) من دلمون إلى تايلوس: مجلة البحرين الثقافية (المنامة ١٩٩٢) ص ٩١.

(٣) أوتو إلهة الشمس عند السومريين.

كما يذكر النص بأن "ننخر ساك قد نجحت في إنبات ثماني نباتات في أرض دلمون، وبعد أن أكل الإله "إنكي" تلك النباتات وقع مريضاً: فغضب ننخر ساك وانسحبت من صحبة الآلهة، وهددت بعدم العودة حتى يموت الإله إنكي، إلا أن الثعلب المكار، نجح في إقناع ننخر ساك بالعودة، فوافقت على علاج الإله إنكي، وفعلت ذلك عبر إنجاب ثماني معبودات وإله؛ فمن عليه بعلاج أمراض الإله إنكي.

إن دراسة النص أنف الذكر؛ يعطينا مدلولات مقدسة، تؤكد أن دلمون هي الفردوس المنشود في المخيال القصصي للسومريين؛ فقد كان كل فرد سومري يسعى للوصول إلى أرض دلمون؛ كي يجد ضالته المنشودة في جنة الخلد والفردوس الموعود بها كما تذكر ذلك ملحمة جلجامش.

هل وصل جلجامش إلى دلمون؟

واستناداً إلى ما تم العثور عليه من آثار وشواهد مادية، مثلتها رسوم السفن الشراعية المنقوشة على الأختام والفخار، فإن هذه السفن لا بد أنها كانت مصنوعة للقيام برحلات بحرية، وليس لرحلات نهريّة فقط؛ لكون الأنهار التي تمتاز بالصغر والهدوء كانت لا تحتاج لسفن ذات أشرعة، بل إلى زوارق ومشاحيف^١ تعتمد على "مردي"^(٢) واحد، أو عدة "مرادي" على وفق الحاجة، فبإمكاننا ملاحظة أمثالها وهي تخوض مياه أنهار العراق بكل هدوء وانسيابية.

(١) المشحوف : كلمة تطلق على بعض الزوارق النهرية الصغيرة وهي معروفة الاستخدام إلى الآن في أهوار العراق
(٢) المردي : العصا المصنوعة من القصب أو الخشب والذي يقع فيها إبلام أهل الأهوار في المزارعين في جنوب العراق

لذا ، ليس بمستبعد قيام جلجامش برحلة من ذلك النوع إلى دلمون ، ما دام هناك فعلاً ، رحلات شقت طريقها عبر مياة الخليج الضحلة والعميقة ، حتى بلغت مدناً وأقاليم بعيدة ، امتازت بعلاقتها التجارية والحضارية الوطيدة مع أقاليم العراق القديم . لكن من المؤكد أن تلك الرحلات ، لم تكن منتظمة ، بل كان يغلب عليها طابع المغامرة والفردية ، معتمدة طريقاً ساحلياً قريباً من اليابسة ، ثم أخذت تنتظم بالتدرج حتى غدت حملات دائمة ومنتظمة ، في فجر الحضارة السومرية في حدود أوائل الألف الثالث قبل الميلاد . ولدينا دليل على أن الملك (ميس كيا كاشر) . قد ارتاد البحر ، واستكن مواضعه .^(١)

ولعله أفاد جلجامش مثلما أفاد غيره ، لأن المعلومات التي حققها ذلك الملك ، اعتمدها جلجامش في رحلته إلى دلمون . كما اعتمد جلجامش على معلومات بعض التجار المعاصرين ، لكن رحلته لم تكن تجارية ، كما توحي لنا الملحمة ، بل كانت لأغراض معرفية بالدرجة الأولى . لكنها حققت بالطبع ، فوائد تجارية ومعلوماتية ، بفضل المعلومات التي وفرتها الرحلة ، مثل أية رحلة أخرى ومن الطبيعي أن المعلومات المستمدة من تلك الرحلات ، كانت ثمينة ، لكون الرحلات التجارية كانت آنذاك سرية ومحددة ، بسبب الأخطار التي تعترضها في البحار . لذا ، لا غرابة في أن نجد قليلاً من الناس يقومون برحلة برغم ما تقدمه من فوائد وأرباح مادية مغرية ، أما سبب غموض تلك الرحلات وخشية الناس منها فنابع من محاولة التجار تخفيف تلك الرحلات بهالة من التهويل والمبالغة لغرض صرف الناس عنها ، فصاحبة الحانة التي تمثل أنموذجاً لطبقة

(١) الباحث يتفق مع ما ذهب إليه السيد عبد الجبار محمود السامرائي في قصة ذهاب جلجامش إلى دلمون

التجار حاولت تضليل جلامش وصرقه عن فكرة الرحلة رغم كلمات جلامش المؤثرة التي حاول فيها إقناع صاحبة الحانة بغرضه من الرحلة قائلاً لها :

آه لقد غدا صاحبي الذي أحببت تراباً .

وأنا سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين .

فيا صاحبة الحانة وأنا أنظر لوجههم .

يكون بوسعي أن لا أرى الموت .

الذي أخشاه وارهب .

أما رد صاحبة الحانة فقد جاء بليغاً ودبلوماسياً ، إذ قدمت له وللشخص من بعده

نصيحة رددتها الألسن والعقول قائلة :

(إلى أين تسعى يا جلامش ؟

إن الحياة التي تبغى لن تجد ...

فليكن كرشك مليئاً دائماً .

وكن فرحاً مبتهجاً نهار مساء

وأقم الأفراح والرقص والعب وأجعل ثيابك نظيفة زاهية

وأغسل رأسك واستحم بالماء دلي صغيرك وفرح زوجتك فهذا هو نصيب

البشرية...)

لكن جلامش الذي أرهبه موت خادمه (أنكيدو) تجاهل تلك النصيحة رغم

ما بها من حكمة ، وعقد العزم على المضي قدماً في رحلته المحفوفة بالمخاطر .

لذلك كان رده على تلك النصيحة أنه طلب من صاحبة الحانة أن تدله على

الطريق المؤدي إلى مكان وجود أوتو – نبشتيم ومؤكداً أنه لن يتوانى عن عبور

البحار من أجل تحقيق ذلك أما إذا تعذر عليه الوصول فإن مأساته ستكون كبيرة ، ولن يجد فيما قالتها صاحبة الحانة أي عزاء له ، بل سيفضل السكن في الصحاري على تلك الحياة الرتيبة غير المجدية .

بعد ذلك تغيرت نبرة صاحبة الحانة من النصيح إلى التهويل والتخويف ، ولعلها أدركت أن جلجامش ، كونه ملك ، يتمتع بحياة مستقرة مختلفة عن حياة الناس العاديين ، سوف يعيد النظر في عالمه بعد أن يسمع منها تلك التحذيرات :

يا جلجامش لم يعبر البحر من قبلك أحد

أجل ! أن شمس القدير يعبره حقاً ولكن ، من غير شمس يستطيع عبوره ؟

إن عبوره شاق وعسير

وما عساك ستصنع حين تبلغ مياه الموت العميقة ؟

هنا نجد أن صاحبة الحانة قد بالغت كثيراً في وصف المخاطر التي تنتظر جلجامش وهذا الأمر نعزوه إلى طريق التجار في صرف نظر الآخرين عن رحلاتهم لكن قد لا يكون هذا هو السبب الوحيد ، قد يكون الراوي هو الذي وضع هذه السطور وأضفى عليها هذا التهويل . ومن الغريب أن صاحبة الحانة قد قدمت هذا الوصف لجلجامش الملك المطلع بالطبع على أسرار هذه الرحلات ، بحكم عمله كراع للشعب ، وهذا يدعونا إلى التفكير في أمر آخر هو هل أن جلجامش كان راغباً في خوض مياه البحر العميق في وسط البحر وهو طريق لم يسلكه أحد من قبل لذلك وجهت له صاحبة الحانة تلك التحذيرات الصريحة التي ذكر فيها خطر مياه الموت العميقة ، كناية عن المخاطرة التي تكتنفها الأعماق .

لكن ما الذي دفع جلامش إلى سلوك هذا الطريق غير المسلك قبل ؟ هل هي محاولة لاكتشاف طريق آخر أقصر من الطرق المعتادة ؟ أم أن جلامش كان يبغى المغامرة ؟ أو ملحة آدمية في الفصول والاكتشاف صاغها الخيال البشري أن لدينا دليلاً على أن جلامش دفع إلى سلوك هذا الطريق غير المأمون ، لأنه هو الطريق المعتاد لملاح (أوتو نبشتم) ، لذلك لم يجد بداً من أن يسلكه .

وأمام إصرار جلامش واندفاعه ، لم تجد صاحبة الحانة بداً من إخباره بالسبيل الذي سيوصله إلى أوتو نبشتم ، ناصحة أياه بمصاحبة " أور شنابي " ملاح أوتو - نبشتم وإلا فعليه أن يعود إلى وطنه . هنا أتجه (جلامش) إلى الغابة حيث يوجد أور - شنابي ، ربما لأجل التأثير فيه أو مساومته . لذا لم يجد صعوبة في إقناع أور - شنابي بمرافقته إلى مسكن أوتو نبشتم ، بعد أن قام بإعادة بناء مركبه

إن وجود "أور - شنابي" المتكرر في أرض سومر ، يدل على وجود اتصالات تجارية مستمرة بين بلاد سومر وذلك المركز التجاري الذي يعيش فيه أوتو نبشتم ، كذلك لابد أن يكون لأوتو نبشتم وأتباعه دور في هذه التجارة ، وإلا كيف كانوا يحصلون على حاجتهم من البضائع والمواد الغذائية ؟

لكن أين يقع هذا المكان الذي قصده جلامش في رحلته ؟ هل كان في حدود أرض العراق الحالية ، في منطقة شطب العرب مثلاً ؟ أو في إحدى الجزر القريبة من شاطئ العراق في الخليج العربي أم أنه كان يقع في مكان بعيد

نسبياً في وسط الخليج العربي ، كالبحرين مثلاً ؟ وهذا المكان المرشح من قبل كثير من الباحثين كون " دلمون " الحقيقية^١ ... وهذا ما سنناقشه بعد قليل واستناداً إلى بعض المعطيات يمكن معرفة المكان الذي قصده جلعامش في رحلته إلى دلمون وهذه المعطيات هي

١- عبادة الإله أيا أو (انكي) : تؤكد بعض الدراسات أن هذه الإله كانت معبوداً في دلمون تحت اسم (إنكي) الذي ربما انتقل إلى العراق بفضل الاقوام الدلمونية ، فأصبح رديفاً لأسم " أيا " حيث تؤكد الدلائل الأثرية المكتسفة في البحرين ، وجود معبدتين لهذا الإله في موقعين ، أحدهما يسمى (دراز) ، والآخر يسمى (سار) عثر فيهما على كميات من الأصدف وعظام السمك التي تمثل أهم نذور هذا الإله ، أما كيف وصلت هذه الالهة إلى البحرين فالبعض يقول ربما وصلت هذه الالهة إلى البحرين بفعل الطوفان ، وعمله المستمر للنجاة والخلاص منه لذا فقد نقله أوتو نبشتم إلى البحرين عرفاناً بفضلله عليه كذلك يمكننا تصور أن الإله " أيا " موجود أصلاً في البحرين ، وأن أوتو نبشتم قد ساعد في نشر عبادته ، بعد مساعدته القيمة له . أو أنه وصل إلى الجزيرة فوجد أنه يعبد من بعض سكانها فشاركهم في عبادته.

٢- الاتصالات القديمة بين دلمون والعراق :

(١) ينظر عبد الجبار محمود السامرائي ، المصدر السابق وكذلك من دلمون إلى تاييلوس

تؤكد بعض الآراء على أن السومريين استوطنوا في وقت ما أرض دلمون قبل انتقالهم إلى جنوب العراق . وتوضح لنا السطور الآتية أقدم وصف مدون لرحلة بحرية عرفها التاريخ :

ركب جلجامش واور – شنابي في السفينة .

أنزلا السفينة في الأمواج وهما على ظهرها .

وفي اليوم الثالث قطعاً في سفرهما ما يعادل شهراً ونصف من السفر العادي .

وبلغ أور – شنابي مياه الموت العميقة .

ونادة جلجامش قائلاً :

هيا يا جلجامش أسرع وخذ مردياً [عموداً] وادفع به وحذار أن تمس يدك مياه الموت .

أسرع وخذ مردياً ورابعاً .

وبمائة وعشرين دفعة استعمل جلجامش كل المرادي .

ثم نزع ثيابه ونشرها كأنها شراع .

تؤكد لنا هذه السطور أن المسافة المقطوعة في الرحلة كبيرة ، حتى بالنسبة للقدرات المستنفرة ، ثلاثة أيام ، والتي تعادل (خمسة وأربعين) يوماً من السفر العادي ، ولو علمنا أن طول الخليج العربي من ساحل البصرة إلى مضيق هرمز هو (ألف) كيلو متر وأن هذه المسافة يمكن قطعها فيما بين أربعة أيام إلى اسبوع فإن ثلاثة أيام تعني أن المسافة المقطوعة لا بد أن تكون ما بين نصف إلى ثلاثة أرباع

المسافة الكلية، أي أن الرحلة قد قطعت في سفرها ما يقرب (خمسمائة) كيلو متر طوياً ، آخذين بنظر الاعتبار امتداد الخليج العربي إلى منطقة أهوار جنوب العراق . وهذه هي المسافة نفسها التي تفصل جنوب العراق عن جزيرة البحرين ^(١).

أما القسم المتعلق بخوضهما مياه الموت ، فقد وصفت لنا الملحمة طريقة تلافي مخاطر هذه المياه من خلال التعليمات التي وجهها [أور شنابي] إلى جلامس ونفذها الأخير بكل دقة ، (وهي التعليمات التي أخذت حيزاً من النصف الثاني المذكور قبل قليل ، وهو ما يجعلنا نضع تساؤلاً حول ماهية هذه المياه . هل هي إضافة من الراوي غرضها التهويل ؟ أما أنها كناية عن المياه العميقة في وسط البحر حيث تمثل هذه المياه مصدر خطر على البحارة ؟

إن تحديد المسافة التي قطعتها السفينة أثناء عبورها مياه الموت يعد أمراً في غاية الصعوبة ، ولكن ، من الناحية الوصفية المسلم بها ، يمكن أن نعدّ تقديراً لهذه المساحة ويقدر ساعتين كتقدير معقول لقطع هذه المياه برمتها ، استناداً إلى تقدير يؤكد أن كل مردي يستغرق دقيقة حثة يكتمل الدفع به ^٢.

أما عند نزول جلامش إلى بر الجزيرة " دلمون " فقد وجدته مضيفة الذي لمحّه من بعيد ناقماً على ملاحه الذي لم يحسن التصرف بمرافقة هذا الغريب وإيصاله إلى مقرها السري ، لكونه يعلم مقدار الصعوبات التي واجهها الغريب

(١) عبد الجبار محمود المصدر السابق

(٢) عبد الجبار محمود السامرائي المصدر السابق

قبل وصوله إليه ، وما سوف يحصل عليه مقابل ذلك لكن ، هل يصل الأمر إلى حد طرد ملاحه بسبب ذلك ؟ إن هناك أكثر من سبب خفي يدعو إلى فعل ذلك ، لعل منها خشيته من أن يسبب مجئ جلجامش إلى الحزيرة بشكل خطراً على مركزه وتجارته ، والتحليل الأخير ينطبق على حالة أي مستفيد يخشى من مداومة الآخرين له وتقويض استفادته من حجم استفادته وسيادته .

وفي قصة الطوفان السومرية إشارة إلى الناجي الوحيد في تلك الكارثة (أوتو نبشتم) قد كوفئ بمنحة الحياة الأبدية واسكن في " دلمون " وهناك رواية تقول أن البطل جلجامش قد سعى إلى جده أو أوتونبشتم للبحث عن عشبة الخلود أو (شجرة الحياة) التي أبتعلتها الحية فحصلت هي على الخلود وخرج منها الإنسان . لقد ظلت دلمون لدى السومريين هي أرض الجنة والخلود فيها وليس فيها موت وأنها أرض السلام والمحبة يذهبون إليها للحج وربما لدفن موتاهم ! في أرضها الخالدة وهناك عشرات آلاف من القبور في جزر البحرين وعلى سواحل الجزيرة العربية الشرقية ويؤكد هذا الاعتقاد .

المعنى الظاهر في ترتيلة سومرية في أرض الموت والتي نقتطع منها هذا

المقطع

مدينة تشرب الماء الوفير

دلمون تشرب ماء الرخاء

آبارها ذات الماء المر

تراها وقد تحولت مياهها عذبة

حقولها ومزارعها تنتج الغلة والقمح

مدنها صارت داراً للشواطئ ومراسي الأرض

كانت دلمون مملكة بحرية تمتد من عمان حتى فيلكة في الكويت ، وعاصمتها أي دلمون هي من أكبر جزر البحرين (المنامة) قلعة البحرين .
الآن السؤال الذي يفرض نفسه حين دون (سفر التكوين) وذكرت قصة جنة [عدن] فيه لماذا اختيرت كلمة [Eden] للجنة وليس كلمة دلمون والتي كانت متداولة في أساطير السومريين كثيراً ؟.

ولتعليل السبب هناك من يقول بعد القرن الخامس قبل الميلاد تغيرت اللغة المستعملة في وادي الرافدين وحلت الكتابة الأرامية أو اليونانية محل الكتابة المسمارية، فتغيرت وضاعت بذلك كثير من الكلمات والمسطحات السومرية والأكدية والبابلية والآشورية، وتبعاً لذلك حصل تحول وتبدل كبير في كثير من النتاج الأدبي والفكري العراقي القديم حين تم نقله إلى آداب الشعوب الأخرى ومنها العهد القديم. وإن التصحيحات التي أدخلت على هذه القصة بعد اكتشاف الخط المسماري واللغة السومرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولتحل رموز هذه الكتابات القديمة بدل الكلمات القديمة.

وهكذا ضاعت كلمة دلمون بسبب النقل والترجمة والتحوير والتقادم الزمني وبقي مفهوم الكلمة [Eden] الذي يعني السهل الخصب أو السهول الخضراء وبقي اسم "Eden" وهذا الاسم الأخير هو الذي تم نقله من قبل مدوني سفر التكوين، ربما في القرن الرابع قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل.

غير أن دلمون في رأي " جورج رو " في كتابة العراق القديم يمكن أن تعني أي مكان خيالي يعود، وليس بجزيرة البحرين بالضرورة. أي أن ما تتمتع به

دلمون من موارد طبيعية وموقع جغرافي مهم بين العراق والهند يجعل منها مكاناً أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع وقد عثر على نصوص تبين من دراستها أنها عقود واتفاقيات عقدت بين تجار البحار وذلك بين مدينتي (أور) و (دلمون)، ويظهر أن أولئك التجار كانوا يستوردون النحاس من (دلمون)، وكان من جملة السلع التي استوردوها من (دلمون) الفضة و(عين السمك) أي اللؤلؤ على أغلب ما يظن.

ويظهر من هذه النصوص ومن نصوص أخرى، أن الاتجار والصلات بين (دلمون) و(أور) كان متصلًا ومستمرًا. وأن جماعة من تجار (أور) كانوا يرسلون قوافل من السفن إلى (دلمون) للتجار فيبيعون ما لديهم من بضائع من حاصلات العراق ومن المواد الواردة في العراق من أسواق بلاد فارس وبلاد الشام وآسيا الصغرى وربما من اليونان وأسواق أوربا. ويعودون ببضائع من البحرين، هي في الغالب من تجار الهند أو أفريقيا وهي تشتمل على المعادن والأخشاب والعطور والأشياء النفيسة الأخرى.

وقد عرفت البحرين باسم "دلمون" "تلمون" في نصوص السومريين وقد حملت هذه التسمية بعض العلماء على التفكير في أن ما ورد عن (جنة عدن) في التوراة، إنما أريد به هذه المنطقة التي تقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب وعلى سواحل الخليج.

وينفي "جورج رو" هذه النظرية، معللاً ذلك بأنه ليس هناك أية إشارة في أسطورة "دلمون" توحى لنا بكون هذه الجزيرة هي الموطن الأصلي للسومريين

- ويقول رو أيضا - فقد كان السومريون كغيرهم من الشعوب القديمة، يعتقدون بأن بلدهم هو "محور العالم" وأنهم الأحفاد المباثرون لأول المخلوقات البشرية. بالرغم من عثور المنقبين على آثار معابد في مواضع من جزر البحرين ... وفي جملة ما عثر عليه في أنقاضها، بعض التماثيل وبعض الأحجار الكبيرة المثقوبة والتي كانت بمثابة مذابح تذبح عليها القرابين، فتسيل دماؤها من هذه الثقوب إلى حفرة تتجمع فيها الدماء، وقد تبين أن هذه المعابد هي من معابد العصر النحاسي والعصر البرونزي، وأن تاريخ بعضها يعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد.

وتشير النصوص المسمارية العراقية عند تطرقها للخليج العربي إلى ثلاثة مراكز يرد ذكرها سوية في الغالب وبموجب التسلسل التالي: دلمون (تلمون)، (مكان) (عمان) ميلوخا (الهند). وذلك يدفع للاستنتاج بأن تسلسل الأسماء له علاقة بالمسافات التي تفصلها عن مراكز الحضارة العراقية القديمة.

ومن بين الأساطير الدينية التي تتعرض لذكر دلمون، أسطورة عنوانها (إنكى وننخرساك) وتسمى أيضاً بسبب موضوعها بأسطورة الفردوس، يرد فيها ما يلي والتي أشرنا إليها سابقاً: (أن دلمون أرض نظيفة وأرض لا ينقص فيها غراب، وأسودها لا تفترس وذئبها لا تأكل الحمل، وأرضها خالية من الآفات والحيوانات المفترسة وناسها لا يعرفون المرض ولا الشيخوخة، ولكن يعوزها الماء، فتفجرت فيها عيون المياه العذبة بأمر الإله، إنكى، ولتكن رصيفاً لسفن سومر) ومن المعلومات التي توفرها هذه الأسطورة يتبين أن الآلهة ننخرساك تعتمد إلى خلق مجموعة من الآلهة يمنحها إنكى أقدارها ومن

هذه الآلهة، الآلهة ننتولا، وقدر لها أن تكون سيدة على "مكان"، والإله "انزاك"، وقدر له أن يكون سيداً على "دلمون" ⁽¹⁾.

تثير هذه السطورة في موضوعها وعناصرها ومكانها جملة من الملاحظات الهامة نوردتها في النقاط التالية :-

١- أن دلمون هي الجنة في نظر العراقيين، وهي موطن الآلهة وأرض الخلود والشباب الدائم والسلام والوئام. فلماذا أختيرت دلمون وليس غيرها من الأرضيين لتمثل موقع جنة السومريين وهل في ذلك من علاقة بأصل السومريين؟

٢- لقد وهبت الآلهة (دلمون) ينابيع المياه العذبة ونمت فيها أنواع النباتات، ولا يتفق هذا الوصف إلا مع منطقة البحرين بالحدود التي ترسمها لنا المصادر الإسلامية حيث تشمل جزر البحرين والأرض الساحلية المقابلة لها والمشهورة بـينابيع مياهها العذبة وكثافة نباتاتها.

٣- وبالإضافة إلى هذه المزايا الفريدة في دلمون، فقد قررت الآلهة أن تكون ميناء لتجارة السومريين، وهو ما يتفق مع شهرة دلمون في تجارة العراق الخارجية كما تكشفها النصوص التجارية.

٤- وتقرر الأسطورة بأن الإله (نخرسالك) هو سيد (دلمون) وإلهها الرئيسي. وأصبح لاقتران هذا الإله بدلمون أهمية كبيرة بعد اكتشاف

(1) J- Pritchard. (Ed) Ancient Near Eastern Text, (ANET) Princeton, 1969 P315, 267, P278-281.

حجرة في البحرين، ربما كانت أصلاً حجرة أساس، تحمل كتابة مسمارية ترجمتها ما يلي: (قصر ريموم خادم الإله انزاك رجل (قبيلة) اجاروم)^(١). وتتأكد صفة دلمون على دلمون من مضمون أسطورة سومرية أخرى هي في الأرجح الأصل الأول لأسطورة الطوفان البابلية. حيث يلعب دور أوتونبشتم في الأسطورة البابلية شخص باسم (زيوسودر) المعروف بنوح العراقي في الأسطورة السومرية والذي ذكرته التاريخ القديم لونه. وكان ملكاً ورعا مطيعاً للآلهة. وكان يحكم بلاد سومر من عاصمته شروباك، ونفذ أوامر الآلهة مثل قرينه أوتونبشتم في بناء " الفلك " وإنقاذ نفسه ومن معه عليها من الطوفان وجزاء على فعلته منحته الآلهة (حياة مثل الآلهة. وتنفساً أبدياً) بمعنى أنه نال الخلود. ونقل إلى [دلمون] المكان الذي تشرق منه الشمس. وبذلك تتفق هذه الأسطورة مع سابقتها في تعيين فردوس العراقيين بأرض دلمون^٢.

ويتردد اسم [مكان] في الأساطير الدينية التي يرد فيها ذكر دلمون، مما يجعلنا نستنتج وقوعهما في أماكن متقاربة وأن طريقاً واحداً يوصل ما بين المراكز العراقية وبينهما وهو طريق موصلات مائية كانت تتوغل في مياه الخليج العربي ومن فقرات النصوص ذات الطابع الديني الفقرة التالية:

(في أور، بيت (معبد) دلمون يعود لي)^(٣).

ينقلنا مضمون هذه الفقرة ودلالاتها إلى علاقات متطورة بين الدلمونيين والعراقيين. ففي مدينة أورشيد معبد خاص بالدلمونيين، وربما يشير ذلك إلى

(1) Geoffery Bibby: Looking for Dilmun, Proof Edition Book, P36, 37.

(2) J Pritchard: Opicit P. 34.

(3) Opicit P. 579.

تواجد جالية دلمونية ملحوظة العدد كانت ترعى المصالح التجارية بين الطرفين وبسبب أهمية هذه الجالية النابعة من أهمية نشاطاتها التجارية، وربما من موقع بلادهم الديني في نفوس العراقيين، فقد أحاطت الآلهة عشتار معبدهم في أور برعايتها.

وتبدأ نصوص دينية أخرى بتوضيح المكانة الاقتصادية لمراكز الخليج العربي، ففي قصيدة دينية سومرية عنوانها ((إنكي ونظام العالم)) نقرا ما يلي :

بلاد (مكان ودلمون) توجهتا بأبصارهما على أنا إنكي، وملئت قوارب

"دلمون" وحملت قوارب "مكان" بكل سعتها، ونقلت قوارب ماكليوم (نوع

من القوارب) الذهب والفضة من ميلوخا إلى نفر، لأجل أنليل سيد جميع العالم.

وعليه فإن (دلمون) و(مكان) و(ميلوخا) تقع جميعا في الجهات الجنوبية للعراق على الخليج العربي، لأن السفن هي الوسائط الوحيدة التي يرد ذكرها في الاتصالات بين الجانبين. كما يبدو من سياق هذه النصوص أن أهل هذه المراكز ملاحون متمرسون وينشطون على خطوط نقل بحرية في الخليج العربي. وتؤكد ذلك قائمة بأسماء خطوط الملاحة أو مراكز الموانئ العراقية والخليجية دونتها لنا في النصوص المسمارية (قارب ماري، قارب آشور، قارب أكد، قارب دلمون، قارب مكان، قارب ميلوخا) ونستدل من النصوص الاقتصادية التي كانت تنظم الرحلات التجارية بين مراكز التجارة العراقية ونظيرتها الخليجية، على أن هذه المراكز كانت عقدا رئيسية على طرق التجارة القديمة.

وهكذا تضعنا النصوص المسمارية الأسطورية والدينية في المسار الصحيح لمعرفة جوانب التاريخ والحضارة في الخليج العربي في عصوره

القديمة. وستكون معلوماتنا أكثر تفصيلاً عند استعراض النصوص التاريخية والاقتصادية، خاصة وأن هذه النصوص ترتبط بفترات زمنية محددة وتؤشر جوانب من النشاطات المباشرة بين الطرفين.

فمن عهد الأمير (أورنانشه) مؤسس سلالة لجش في حدود (٢٤٥٠ ق.م.) يصلنا أقدم نص يشير إلى الصلات التجارية مع دلمون. يشير النص إلى ما يلي :-

(وجلبت قوارب دلمون الأخشاب)

يبدو أن ثراء دلمون وغيرها من المراكز الخليجية مبرراً لسعي الحكام العراقيين وعملهم على تعزيز أواصر الصلة فيما بين الطرفين، واضطروا أحياناً لاستخدام القوة من أجل نشر الأمن على امتداد طرق التجارة في مراكزها.

فيخبرنا سرجون الأكدي (٢٣٥٠ ق.م.) بأنه ((مد بنفوذه إلى دلمون وإلى غيرها من المناطق، وأنه أبقاها تحت إمرة من يأتي بعده على الحكم)) وتتوضح أسباب اهتمام (سرجون) بهذه المراكز من نص آخر له يذكر فيه أنه ((حقق انتصارات عسكرية في ٣٤ حملة، واخضع جميع المدن إلى ساحل البحر، وجعل مزيداً من السفن تصل من ميلوخا ومكان ودلمون إلى ميناء أكد)).

والمتوقع في مراكز بهذا الثراء والنشاط التجاري أن تكون ذات مقومات سياسية وإدارية وتنظيمية، بحيث يكون بمقدورها الإشراف وتنظيم سير الأعمال الاقتصادية الواسعة. نجد هذا واضحاً في نص للملك (نرام سين) تلميحاً إلى ذلك

عندما يقول فيه بأنه زحف باتجاه بلاد مكان وألقى القبض على (مانو دانو) ملك "مكان".

ويخبرنا كوديا امير مدينة لجش (حكم في حدود ٢١٥٠ ق.م.) في أحد نصوصه الكثيرة، عن ثروات وخصائص المناطق المختلفة المحيطة بالعراق، فيرد على لسانه ما يلي :

((من عيلام جاء العيلاميون، ومن سوسة جاء السوسيون، وجمعت مكان وميلوخا الأخشاب من جبالها لأجل بناء معبد نتجرسو))، ويقول في نص آخر ((تسلم كوديا الحجر الأحمر من ميلوخا بكميات كبيرة)).

وبموجب هذين النصين نعرف أن (مكان وميلوخا) كانتا من مصادر المواد الخام التي حرص العراقيون على الحصول عليها بسبب ندرتها في الأرض العراقية، كما نعرف في نفس الوقت أن سوسة والعيلامين كانا من مصادر الأيدي العاملة.

وبسبب سعة وأهمية تجارة الخليج العربي، فقد عمد ملوك العراق القديم لإخضاعها لرقابة مشددة، خوفا من تسربها إلى غير الموانئ الحكومية ، بمعنى تهريبها ويفيدنا "أورنمو" مؤسس سلالة أور الثالثة (٢١٠٠ ق.م) بهذا الخصوص ، بأنه ((بقوة نار سيد مدينة أور ، أرجع السفن مكان الخاصة بنار إلى القتال المجاورة ، وجعلها مشهورة في أور)).

لاحظنا فيما سبق من مقتطفات النصوص ، أنها غالبا ما تذكر مكان و ميلوخا بمعية دلمون ، و أنها جميعا يتم الاتصال بها بوسائل مائية من خلال البحر الجنوبي أي الخليج العربي .

و ترينا المصادر التاريخية والاثريّة ايضاً في أن دلمون مكان جغرافي معين في وقت جعلها الكتابات ذات الطبيعة الأدبية أرضاً أسطورية ، و قد أيد الكثير من الباحثين أمثال فوكسويل البرايت^١ و بيننو لاندسبركير^٢ و باروز كونها جزر البحرين . ثم أعقب هذه الدراسة بطرس برو كورنويل العلمية و النصوص التي برهن بها بأن دلمون هي دون شك جزر البحرين ، فسر جون الثاني الأشوري ذكر في نصوصه كون (أوفيري) ملك دلمون يعيش على مسافة تقرب من تسعين بيرو (ساعة مضاعفة) في وسط بحر الشمس المشرق (اينا قابال تامتيم نيبيج شامشي)^(٣)، أو البحر السفلي كما يسميه نص آخر. ومعني هذا أن المسافة بين رأس الخليج العربي عند البصرة وبين دلمون ١٨٠ ساعة في سفينة شراعية، وفعلاً قام "كورونويل" بالرحلة بالسفينة المطلوبة ووجد أن المسافة بين رأس الخليج العربي وجزر البحرين تقارب هذا الرقم. وأيد كثير من الباحثين كون "تيللوس" الواردة في أريانوس^٤. مشتقة من كلمة (دلمون/ تلمون) التي ذكر أنها تبعد يوماً وليلة عن فهم نهر الفرات. وعشر في البحرين على نص مسماري عليه العبارة (قصر ريمون عبد الإله أنزاك من قبيلة أكاروم) وتعود إلى العصر البابلي القديم (١٥٣٠ ق.م – ١٩٥٠)^(٥).

ونعرف فعلاً أن الإله أنزاك هو الاسم الذي عبد ربه أي الالهة أنو في دلمون. وتذكر المصادر المسمارية عن جلب تمر دلمون إلى العراق وشهرته فيه

(1) American Journal of Semitic Languages and Literature , (AJSL) , vol.35,pp . 182 ff .

(2) Zeitschrift vur assyriologie, 2A , Vol , 35 n . t . pl 27

(3) D. D. Luckenbill, Ancient Records of Babylonia and Assyria, (ABAB), (Chicago, 1926), Vol. 2, No. 970.

(4) Arrian, The Anabasis of Alexander, VII, 20;6.

(5) Journal of the Royal Asiatic Society (JRAS), n. s. Vol. 12, (1880), pp. 189 ff.

ونعرف الآن عن وجود التمر في القطيف والهفوف وجودة تمرها. ويرجع كثيرا أن الساحل الغربي للخليج العربي كان ضمن مملكة (دلمون) كما تشير إلى ذلك كتابات الملك الآشوري سرجون الثاني.

موقع دلمون وفق تصورات العراقيين

دلمون كانت ذات شهرة عند السومريين، فقد ذكرت في الأساطير السومرية التي نعتت أرضها والنقاء وتحدثت عن علاقة الرب أنكى (ايا) رب الماء والحر والحياة السومري معها وكيف أنها أرض سلام وصحة وذات مياه وافرة، فنقرأ في أسطورة أنكى وتنخورزاك المعروفة بأسطورة دلمون ما نصه:

المكان طاهر.

أرض دلمون طاهرة.

أرض دلمون طاهرة.

أرض دلمون طاهرة، أرض دلمون نظيفة.

أرض دلمون نظيفة، أرض دلمون الأكثر لمعانا.

من الذي يستلقي (بنفسه) في دلمون.

بعد أن استلقي أنكى مع زوجته.

ذلك المكان طاهر، ذلك المكان الأكثر لمعانا.

لا ينشق الغراب في دلمون.

ولا يطلق طير الأتتيدو صيحة ألم طير الأتتيدو.

الأسد لا يفترس.

الذئب لا ينهش الحمل.

والكلب المسعور الذي يفترس ... غير موجود.

و ... الذي يلتهم الحبوب غير موجود.

.....

الطير لا ينعكس رأسه

ومريض العينين يقول أنا لست مريض بالعينين

والذي يشكو من وجع الرأس يقول أنا لا أشكو من وجع الرأس.

والمرأة العجوز تقول أنا لست عجوزا.

والرجل العاجز المسن يقول أنا لست عاجزا مسنا.

البنات لا تسبح حيث لا يوجد ماء فاتر في المدينة.

.....

المغني لا يطلق نواحا.

ولا يصدر منه في المدينة أى بكاء

قالت نينسيكيلا إلى والدها أنكى

لقد أعطيت المدينة، المدينة التى أعطيت.

أجاب الأب أنكى أبنته نينسيكيلا

ليطلق (الإله) أوتو الذي يقف في السماء.

من الفم حيث تخرج مياه الأرض، ماوك الحلو من الأرض

.....

ليجعل المدينة يشرب منها مياه غزيرة

وبترك ذات الماء المر تصبح ذات ماء عذب (حلو)

وحقولك ومزارعك تحمل حبوبك
لقد صارت دلمون بيت رصيف ميناء شاطئ البلاد

.....

أنكى أمام نينتر العاقلة (أم البلاد)
سقي بعضوه التناسلي السدود بالماء.
وغطس بعضوه التناسلي القصب.
وقال أنكى لا يسير أحد في الأهوار

ثم تذكر الأسطورة كيف أن الرب "أنكى" جلب الخيار والتفاح والعنب.
وبسبب اتصال أنكى بثمان نباتات منها نبات العسل ونبت شوط الطريق ونبات
الشوك والكبر والقرفة، ومن جملة الأرباب التى خلقتها الآلهة ننخورساك من
أجل هي الرب نينتولا رب ما كان وجعلت أينشاك ربا إلى دلمون⁽¹⁾.

ولكن دلمون تحتاج إلى الماء العذب الضروري إلى الحياة الحيوانية
والنباتية. فأمر الرب السومري (أنكى) زميله الإله (أوتو) أن يملئ الجزيرة
بالماء العذب الذي ينبع من الأرض فتحولت (دلمون) بذلك إلى جنة خضراء
بحقول مليئة بالفاكهة والمروج التى خلقت بها الرببة الأم العظمى ننخورساك
ثمان نباتات بعد عملية معقدة اشتركت بها ثمانية أجيال من الرببات أنجبها
جميعها الإله (أنكى) ولدوا جميعهم (كما تذكر الأسطورة) دونما ألم ولكن ربما
بسبب رغبة (أنكى) فى تذوقها فعمل رسوله (أسيمود) ذو الوجهين على
قطفها الواحدة بعد الأخرى وإعطائها إلى سيدة أنكى الذى تناولها. وعلى ذلك

(1) James Pritchard, Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament, (Princeton, N. J., 1955), p. 44.

قرأت عليه الربة (ننخورساك) لعنة الموت. ويظهر أنها اختفت بين الأرباب بعد ذلك حتى لا تبدل رأيها. وأخذت صحة (أنكى) بالتدهور وصارت ثمانية من أعضائه مريضة. وفي الوقت الذي تدهور فيه صحة أنكى جلس الأرباب العظام على الأرض. ويظهر أن أنليل لم يكن ليتمشي مع هذه الحالة، ثم تكلم الثعلب وأخيرا أنليل فذكرت الاسطورة ما نصه أنه لو يعرف بأنه سوف يكافئ لجلب ننخورساك ثانية. وقد نجح الغراب إلى حد ما في إرجاع الربة الأم إلى الأرباب كيفما تعالج وتشفي أنكى الذي كان في طريقه إلى الهلاك التام. وبعد ان سأله عن الأعضاء الثمانية المريضة من جسمه خلقت الربة آلام ثمانية أرباب شفاء وهكذا استرجع أنكى صحته ثانية. فدلّمون السومرية حسب هذه الأسطورة كانت في دلمون. وتذكر القصيدة السومرية كون ضلع الرب أنكى أحد أعضائه المريضة. والكلمة السومرية لضلع هي "تى"، واسم الربة التى خلقت لمعالجة الضلع اسمها نين تى (سيدة الضلع)، ولكلمة تى معنى آخر في اللغة السومرية وهو السيدة التى تصنع الحياة وبذلك يكون معنى (نين تى) هي السيدة التى تهب أو تسبب الحياة^(١).

وتطلق أسطورة الطوفان السومرية أسم أرض العبور التى ربما أراد بها عبور الشمس حالا بعد شروقها من الشرق:

في أرض العبور، أرض دلمون، المحل الذي تشرق منه الشمس.

جعلته الأرباب (زيو سيدرا) يستقر^(٢).

(1) Samuel Noah Karamer, from the Tablets of Sumer, (Indian Hills, Colorado, 1956), P. 170-171.

(2) Pritchard, op. cit.

فبعد أن رسى الفلك بعد الطوفان وانتهت الأزمة حبت الأرباب بطل الطوفان السومري زيوسودرا (أوتو نبشتم) بالخلود يقطن دلمون، الأرض التي يصطفها الجميع. فدلمون إذن هي بلد الخالدين الذين تمنحهم الأرباب الحياة⁽¹⁾.

وربما تكون نبتة الخلود التي أخبر أوتو نبشتم جلجامش عنها عندما قابله في مقره هي اللؤلؤ. فكما يضع الغاطسون الذين يبحثون عن اللؤلؤ عند نزولهم البحر إلى أرجلهم ربط جلجامش برجليه الحجر . ومن الجدير بالذكر ان الملكة (كليوباتره) قد شربت لؤلؤا مذابا في الخمر . ونحن نعرف أن ثلاثة من الاوعية المريضة العديمة القاعدة المعاصرة إلى زمن القصر في قلعة البحرين احتوت على عظام حية . وفي بعض الاوعية التي فيها هيكل الحية وضعت خرزة والحدة من الفيروز صغيرة . وربما كان لهذا الطقس علاقة مع قصة جلجامش بكون الحية هي التي أكلت اللؤلؤة . وأن الحياة في الصحون المغطاه هذه التي وجدت تحت الارضية لها أهمية دينية أو سحرية . وتعتبر اللؤلؤة رمز التخلص من المرض والشيخوخة والموت التي اشتهرت بها دلمون وتردها على الأقل اسطورة واحدة .

واعتقد البعض بأن ملحمة جلجامش لا تزال حية وجزء من دين حضارة البحرين عندما كان القصر في قلعة البحرين مسكوناً . وعثر على الكثير من مدافن الحياة أرضيات الغرف الأخرى يصل إلى حدين الأربعين . وربما يتم ذبح الحية عند موت أو ميلاد فرد من أفراد العائلة أو أن البناية ليست قصرا بل

(1) Kramer, From the op., p. 181.

معبداً تقوم بكلتا الوظائفين وكون أواعي الحية هي عطايا المتعبدین الذين ينشدون الصحة وطول العمر^(١).

وقد ذكرت سفينة مكان كما ذكرنا في الأسطورة السومرية المعروفة بأسم أسطورة جلجامش وأرض الأحياء التي تعود إلى العصر السومري القديم. ثم في أسطورة أنكي والنظام الكوني من نفس العصر. فقد ذكرت الأخيرة كيف أن أرض "مكان" و"دلمون" نظرتا إلى الرب أنكي كي يباركهما فربط سفينة دلمون وحمل سفينته ما كان إلى الأعلى وكذلك سفينة "ماكيلوم" الخاصة بملوखा (وادي السند). وقد ذكرت سفينة "ماكيلوم" في أسطورة جلجامش وأرض الأحياء مع ما كان والاثنين تشيران دون شك إلى طبيعة هذه المناطق البحرية وكون السفن من نوع (الماكيلوم) معروفة في كل من مكان وملوखा^(٢).

ونقرأ في أسطورة أنكي والنظام الكوني كيف أن سفن ملوखा تنقل الذهب والفضة إلى معبد (الأيكور) الخاص بالإله أنليل في نقر مما يدل على علاقة بين هذه البلاد ونفر وتقديس أهل ملوखा للرب أنليل. ثم تتعرض الأسطورة إلى أنعام أنكي على أرض ملوखा بالخير والبركة حتى تصبح أشجارهم باسقة وارفة الظل ورجالهم محاربين يتقنون استعمال السلاح. ثم عاد أنكي إلى دلمون وطهر أرضها وأكل من سمنكها (لأن السمك هو الطعام المفضل عند الرب أنكي) وتمرها. علماً بأن السمك متوفر في دلمون باعتبارها بلداً بحرياً إلى جانب شهرتها في التمرور المعروفة باسمها.

(1) Bibby , Loking , op . cit . , pp. 180 – 182 .

(2) Ibid , 18 :16 - 63

ولكن أول ذكر إلى دلمون في النصوص التاريخية العراقية المتوفرة لنا جاء على حد معرفتنا الحالية في نص إلى "أور نانشه" حاكم مدينة لكش (تللو) قرب الشطرة في محافظة الناصرية من العصر السومري القديم. فقد ورد في نص لهذا الحاكم (أن سفن دلمون سفن دلمون جلبت له (لاور نانشه) الخشب كجزية من بلاد أجنبية^١. فالنص يذكر استخدام أور نانشه لسفن دلمون في جلب الجزية من الخشب مع بلاد أخرى إلى "لكش". وهذه العبارة تدل على تملك "دلمون" بهذه الفترة لسفن لا بد وأن كانت كثيرة وكبيرة قادرة على السير في أعالي البحار والتي كانت تؤجر لنقل المنتجات.

ولا نعرف إن كان النص يدل على قيام مدينة دلمون نفسها بإرسال الجزية من الخشب إلى (أور نانشه) إذ ليس في النص ما يشير إلى ذلك إلى جانب كوننا لا نعرف البلاد الأجنبية التي أرسلت الخشب كجزية إليه ولكن الجزية قد مرت بالخليج العربي وحملتها سفن دلمونية وربما كانت من بين الأقطار التي أرسلت الجزية من مناطق في الخليج نفسه أي ربما تكون دلمون.

وأن الملك سرجون الأكدي (٢٣٢٥ - ٢٢٦٩ ق.م.) كما نقرأ في وثيقة الأخبار من العصر البابلي الحديث قد عبر "بحر شروق الشمس" (تأمتي ايننا صنيئيت شمشي ايبيير)^(٢). والنص مع الأسف غير واضح حيث لم يذكر لنا ما عمله "سرجون" بعبوره لا أسماء قرى أو أماكن أو حكام ولا سعة المنطقة التي غطاها بعبوره. ونقرأ نص آخر لسرجون الأكدي ما نصه (أن غنائمهم (سكان

(1) Samuel Noah Kramer, The Sumerians, Their History, Culture and Character, (Chicago, 1964), p. 308.

(2) King, Chronicles concerning Early Babylonian Kings, 11, (London, 1907), p. 8 FF. 1. 2.

بلاد غروب الشمس) قد نقلها عن طريق بلاد أرض البحر (شالا سونو ايناماتاي تامتيم أو شيبيرا)^(١). فسر جون الأكدي بعد أن وحد المناطق الغربية نقل غنائمها إلى بلاده عن طريق بلاد "أرض البحر" أي عن طريق البحر ثم الخليج العربي.

ويظهر أن بلاد "أرض البحر" قد شهرت السلاح مرات عدة على "سرجون" الأكدي حيث يذكر لنا في النص المعروف بأسطورة ميلاد سرجون، وهو نص غير واضح مثل بقية نصوصه ولا نعرف مدى الثقة التي نوليها به فيذكر محاصرته للمنطقة ثلاث مرات (ماتي تيامات لو - أوو أل - ما - أ - ٣ - شو)^(٢). فربما تشير هذه الأسطورة بهذا الخبر التاريخي عن علاقة سرجون بمنطقة أرض البحر. وإذا كان سرجون الأكدي قد سار فعلاً ثلاث مرات إلى منطقة أرض البحر فلا بد أنها كانت ذات موقع استراتيجي هام في العالم القديم والذي ربما يعود إلى موقعها الجغرافي ومواردها الطبيعية إضافة إلى احتمال تملك بلاد أرض البحر لقوة كبيرة بدليل أن سرجون الأكدي وجد من الضروري الذهاب ثلاث مرات لإخضاعها. وهذا يقوي الاحتمال بوجود سلالة حاكمة في بلاد أرض البحر خلال حكم سرجون الأكدي. وربما تكون هذه المملكة هي مملكة دلمون. وتظهر أهمية أرض البحر بتأكيد سرجون الأكدي عليها في كافة نصوصه بما فيها أسطورة ميلاده^٣. وإلى جانب هذه فقد أخبرنا سرجون عن وصول سفن ملوखा ومكان ودلمون في رصيف الميناء أمام عاصمته أكد^(٤).

(1) Ibid, 11, p. 131, l. 26.

(2) Ibid, 11 p. 92, l. 18.

(3) Dougherty, The Sea Land, op. cit., pp. 9-10.

(4) George A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, RISA, (New Haven, 1926), p. 108.

ولدينا كذلك نصوص عراقية يرجع تاريخاً الي العصر الأشوري ثيراي غير ذلك .

اسم ملك مكان هو مانتو داننو (ومعناه من هو القوي في اللغة الأكديّة) .
ولا نعرف أن كان هذا الاسم هو اسم الملك الحقيقي أو أنه ترجمته الي اللغة الاكديّة . فاذا كان هو اسمه فيدل علي تأثير مكان الكبير بالحضارة العراقية ،
كما اخبرنا نرام سن في نص آخر عن قطعة لأحجار جبال مكان ونقلع اياها الي
اكد^(١) .

ونعرف من الفترة الاكديّة عن الشعبية البالغة التي حصل عليها عبادة الرب
كيريريشا الرب اله العظمي عند الميلايين التي كان نركز عبادتها الرئيسي في
مدينة ليان بجزيرة يوشهر في الساحل الشرقي للخليج العربي . وقد اقترح
البعض بانها هي نفسها الرب اله بينكير التي رأي فيها الاكديون نمطاً من الالهة
عشتار^(٢) . وتعني كيريريشا الاله العظمي وبذلك ربما يكون أحد القاب الرب اله
بينيكير . ومن الجدير بالذكر ان جميع النصوص التي عثر عليها في ليان
مكرسة لهذه الرب اله^(٣) واقدم نص من هذه النصوص مدون في اللغة الميلامية
وهو عبارة عن كتاب لحاكم غير معروف من حكام ليان وربما اتت من مزار
الرب اله هناك . ويصف هذا الامير نفسه في النص كعبد لهذه الرب اله وبالتدريج

⁽¹⁾ Ibid pp . 140 – 142

⁽²⁾ F . W . Koenig , Pinkir , Archiv fuer Orientforschung , AFO Vol , 5 (1928 – 1929) P . 102 .

⁽³⁾ M. Pezard , Mission a Bender Beuchir , Documents Archaeo – logiques et epigraphiques ,
Mission de Perse , (MDP) , Vol . 15 (1914)

تغلغل طقس هذه الربيع العظمي من منطقة الخليج العربي إلى بلاد شوشيان في عيلام (١)

ونقرأ في نص عن اولاد الملك الكوتي اننوبانيني من حوالي ٢٠٠٠ ق . م Annubanini الذي ربما وصلت حدود ايامه منطقة سربيل زهاب جنوباً بدليل اكتشاف منحوته له علي واجهة جبل هناك . وفي هذا النص يمدح أننوبانيني اولاده . ويذكر أن عددهم سبعة وهم ميمانداخ Mimandakh وميدودو Midudu وكوكوبياش Kukupiash وتارتادادا Tartadada وبولداخ Buldakhakh وأخودانساديك Akhudanadikh وشارشاكيدو Kharshakidu ويصفهم بالنبل والمجد وكون أهم ميليلي Milili ويقدر عدد جيوشهم بـ ٣٦٠ ألف ثم يتعرض الي غزو اولاد أننوبانيني الي دلمون ومكان وملوखा وذبهم جميع الاقطار في وسط البحر . وقد تكون الاخيرة من مناطق الخليج العربي .

وأخبرنا ريموش خليفة وابن سرجون الاكدي (٢٢٦٨ – ٢٢٥٩ ق . م) من عزوة ملوखा التي ربما تدل علي امتداد سيطرته لتشمل كل مناطق الخليج العربي ووصولها الي أبعد من ذلك لتشمل مناطق المواد الخام ، وان تاريخ ريموش مقارب الي زمن مستقر هاريبا في لوئال ولكن ليس هناك دليل اثاري غزو ريموش لملوखा هذا . ومن الجدير بالذكر أن الغزو والجزية في العالم القديم ليس من الضروري دائماً ان تكون غزواً واقعياً .

(1) I . E . Edwards , and others CAH , Vol . 2, Part 1 , (1971) , P . 663

وفي زمن خليفته واخيه مانيشتوسو (٢٢٥٨ - ٢٢٤٥ ق . م) نقرأ عن اخضاعه لمنطقة شيريوخوم علي الساحل الشرقي من الخليج العربي (عبر البحر السفلي حسب تعبيره تيئا متيم شبليتيم ايليبي ايير) . وقد أخبرنا مانيشتوسو عن تجمع ٣٢ ملكاً من ملوك شربخوم للحرب معه ولكنه دحرهم ، حسب قوله جميعاً واطاح برؤسائهم وسيطر علي جميع البلاد حتي مناجم الفضة (خوري كاسبيم) وكذلك الجبال في ما وراء البحر الأسفل (ابارتي تيئا متيم شبليتيم) ، فنص الملك "مانشيتوسو" هذا صريح ومهم حيث تصور وجود تنظيمات سياسية (دويلات أو قبائل) في الساحل الشرقي للخليج العربي دحر من زعمائها ٣٢ ثم وجود الفضة التي لا بد ان كانت بايادي هؤلاء الرؤساء وعن وصوله بعد ذلك إلي الجبال الواقعة وراء الساحل التي ربما قصد بها الجبال عند الساحل الشرقي . ولم يذكر "مانيشتوسو" ذهابه لهذه الاصقاع لآخماده ثورة مما يدل علي رغبته في السيطرة علي مناجم الفضة التي تمكن من الاستحواذ عليها ^(١) . ويظهر أن شيريوخوم قد ثارت علي الاكديين بعد وفاة مانيشتوسو حيث نقرأ عن ذهاب الملك نرام سن (٢٢٤ - ٢٢٠٧ ق . م) لأخماد عصيانهم . ويبدو ان انتصار نرام سن في حملته ضد شيريوخوم هذه كان ساحقاً بحيث جلب ملك شيريوخوم أسيرا الي بلاد أكد مع غنائم (ايربي) وعطايا (كيشاتي) الي الرب شماش ، وقد ذكر لنا نرام سن عن غزوه مكان دون ان يقدم لنا أي اسباب لذلك الغزو وذكر سفينة واحدة محملة بخشب سمكها ٢/٣ الذراع ومزمرية (يورام) من غنائم مكان (نامراك مكان) . وكون

(1) RISA , pp . 128 – 130

السفينة علذ هذا السمك يدل علي دقة صناعة السفن في مكان القادرة على ركوب البحر ومقاومة اخطاره ^(١) وأخبرنا نرام سن بأن ومن بين نصوص الفترة الكاشية رسالتان عثر عليهما في نفر، أرسلتا في الأصل من دلمون، وتفيد معلومات هاتين الرسالتين بأن أقساماً من الأرض الساحلية المقابلة لجزر البحرين هي جزء من بلاد دلمون القديمة. وأن المناطق الساحلية كانت تشهد انتشار قبائل الأخلامو ^(٢)، كما يرد ذكر سفر امرأة سوتية إلى دلمون.

إن (الأخلامو – والسوتو) وهم مجموعة من القبائل الآرامية التي ورد ذكرها سوية في النصوص الآشورية منذ عهد "أدنراري" ١٣٠٠ ق.م. وربما تمثل الإشارة إلى ظاهرة سفر المرأة لما كانت تحتله من مكانة متميزة، وهو أمر ليس بالغريب على القبائل العربية الشمالية، حيث نعرف من كن ملكات وكاهنات.

وتكشف لنا الرسالتان عن نمطين حياتيين كانا شائعين في دلمون هما النمط البدوي والنمط الزراعي، فسكان القري الزراعية المتميزون بإنتاج التمور من حقول البساتين الكثيفة، يجاورهم سكان البادية من الأخلامو.

وعندما تبدأ النصوص الآشورية بتقديم معلومات عن الخليج العربي، تحدث اختلافاً بين الباحثين، لأنها تغفل ذكر دلمون أحياناً وهي تتكلم عن "مكان" و"ميلوخوا"، كما أنها توحى عند الحديث عن مواقع مكان وميلوخوا وكأنهما في جهات غريبة من العراق في مصر الحبشة أو أمكنة قريبة منهما.

(1) Ibid , p . 138

(٢) الاخلامو : كم تذكر بعض المصادر الاثرية هم مجموعة من القبائل العربية الجزرية القديمة .

ومع هذا الارباك الذي تحدثه بعض النصوص الآشورية، فإن نصوصاً أخرى تحدد مواضع دلمون وميلوخا في أماكنها الصحيحة التي درجة النصوص العراقية قبل العهد الآشوري بتحديداتها، وهي في الخليج العربي، أو أن طريق الرحلات فيه يفضي إليها.

ومن هذه النصوص ما ورد على لسان سرجون الثاني الآشوري (أواخر القرن الثامن ق.م.) حيث نقرأ في قسم من النص ما يلي: ((أوبيري ملك دلمون الذي يعيش مثل السمكة على بعد ثلاثين بيرو في وسط البحر الذي تشرق منه الشمس)). وبما أن البيرو تعني الساعة زمنياً في العهود البابلية، وتساوي ضعف زمن الساعة الحالية، فتكون المسافة التي تفصل بين دلمون وفم الفرات بحوالي (٣٠٠) ميل، وهي نفس المسافة الحالية بين البحرين وفم الفرات.

وبذلك حدد الموضع الصحيح لدلمون من قبل الآشوريين، بينما أبعدت عنها (مكان وميلوخا) في نصوص أخرى، علماً بأن جميع النصوص التي تسبق العهد الآشوري تضع المواقع الثلاثة في اتجاه واحد، وبالتسلسل الذي أشرنا إليه فيما سبق.

ومما يؤكد وقوع الكاتب الآشوري في خطأ، أو أن لبساً يحيط بمعلوماته الجغرافية، هو أن نصوصاً آشورية أخرى تعاود التقليد القديم في ذكر الأسماء الثلاثة سوية وبنفس التسلسل. فيرد على لسان سنحاريب مثلاً (مطلع القرن السابع ق.م.) واصفاً نفسه بأنه ((ملك ملوك دلمون ومكان وميلخا)).

وقد أثارت مناقشات حول تحديد المواضع القديمة لكل من مكان وميلوخا، وسببتها إشارات النصوص الآشورية أيضاً. وعلى العموم نجد أن معظم

الباحثين يتفقون تقريباً في تحديد مواقع المراكز الثلاثة، فيما عدا عالم المساريات (صموئيل نوح كريم) الذي يختلف معهم في تحديد مواضعها، فيري في بلاد دلمون مكاناً على الساحل الشرقي للخليج العربي في مكان ضمن بلاد عيلام القديمة كما يعتقد أن ميلوخا تطابق الحبشة.

وتولى الباحث (كورنوال) من خلال مقالات مستفيضة إثبات كون دلمون تتطابق مع بلاد البحرين.

بينما تولى الباحث (ليمنز) مناقشة موضوع أماكن كل من مكان وميلوخا بالتفصيل مستنداً إشارات النصوص العديدة، ومستفيداً من مناقشات غيره من الباحثين ومنهم غلب (Gelb) وأوبنهايم وغيرهما فيصل إلى تحديد موضع (ميلوخا) بمراكز الحضارة القديمة في وادي السند.

وتتكرر الإشارات من عهد الملوك الآشوريين المتأخرين ومنهم "سنحاريب" و"آشور بانيبال" إلى دلمون، دون غيرها من مراكز الخليج العربي، كما أن معظم النشاطات التجارية قد تمت من خلال ازدهار المياة السياسية والإقتصادية في مملكة "القطر البحري" التي أصبح لها شأن خطير في أحداث الأقسام الجنوبية من العراق في أواخر العهد الآشوري.

لذلك فالأرجح أن الأوضاع السياسية التي أحاطت القسم الجنوبي من العراق وبزعامه بابل ومملكة القطر البحري، والعلاقات المتردية بينهما وبين الآشوريين وبين مراكز الخليج العربي في الوقت الذي ازدهرت هذه النشاطات مع مدن مملكة القطر البحري في جنوبي العراق ولهذا لا نقرأ عن المراكز الخليجية من أواخر العهد الآشوري إلا من خلال الحملات العسكرية. ومن

جانب آخر، فإن الإمبراطورية الآشورية تفتحت أمامها آفاق تجارية رحبة في الجهات الغربية، في سوريا وشواطئ البحر المتوسط والأناضول ومصر، ويبدو أن بعض المواد التجارية التي كانت تصل العراق عن طريق الخليج العربي، بدأت تصله تجارة غربية، ومنها الذهب والأحجار الكريمة والعاج والأخشاب، ولكن أسماء هذه المواد التجارية نسبة إلى أسماء مصادرها القديمة بقيت حية في الأذهان على الرغم من تغيير مناشئ استيرادها وهكذا وقع الخلط بعض الأحيان، في إشارات النصوص الآشورية إلى مواقع كل من ميلوخا ومكان. وتعد النصوص الإقتصادية نهاية المطاف من مصادرنا المسمارية عن الخليج العربي، وهي أوثق المصادر التاريخية وأكبرها حجماً، ويمكنها لوحدتها أن تسعد في دراسة أوجه النشاطات الإقتصادية بين العراق والخليج العربي.

دلمون في عقائد الشرق القديم :

لقد عاش الإنسان الشرقي عصره الأسطوري مثله مثل غيره من الأقوام السابقة في فترة التاريخ من عمر الإنسانية حيث كانت الأسطورة هي وسيلة الإنسان الأساسية للتعبير عن أنشطته المختلفة... وبدخول الشرق الأدنى القديم في العصر التاريخي - استمرت الأسطورة لفترة طويلة من الزمن تمارس تأثيرها القوي في التركيبة العقلية لشعوب هذا الشرق⁽¹⁾.

إذ لم يكن الدخول في العصر التاريخي يعني القضاء على الأسطورة فقد استمرت كجزء لا يتجزأ من الحياة الدينية لهذه الشعوب حيث أن ما سمي بالعصر التاريخي لم يأت بتغيير أو تعديل في طبيعة الحياة الدينية لشعوب

(1) Mossaiti, The Face of the Ancient onieut p. 328.

الشرق الأدنى القديم وقد كانت فكرة الدخول إلى دلمون أو الفردوس حلمًا وفكرة كثيراً ما نجدها واضحة في كتابات وآداب وأساطير الحضارات القديمة سنحاول في هذا المبحث أن نقتفي معاني هذه الفكرة في أساطير وحضارات العالم القديم^(١).

دلمون في عقائد العراقيين القدامى

يؤكد كريم بأن هناك من الأسباب ما يحمله على الاعتقاد بأن فكرة الفردوس الإلهي هي سومرية المنشأ والأصل، وكان موضع هذا الفردوس السومري في أرض "دلمون" وفي "دلمون" هذه نفسها، وضع فيها بعد البابليون "أرض الأحياء" موطن الخالدين منهم.

وحين نقرأ الأبيات الأولى من افتتاحية أسطورة (آنكى وننخرسالك) والتي تقول :

عندما كنتما تققسمان الأرض العذراء (مع رفاقكم من الآلهة) – أنتما – كانت أرض دلمون إقليماً نقياً.

عندما كنتما تققسمان الأرض النقية (مع رفاقكما من الآلهة) – أنتما – كانت أرض دلمون إقليماً نقياً.

كانت أرض دلمون نقية، كانت أرض دلمون فتية.

كانت أرض دلمون فتية، كانت أرض دلمون وضاءة.

عندما اضطجعا على الأرض وحدهما في دلمون.

محمد خليفة حسن تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٤٠ . P31. Moscati, An cientseunitic civilization, Copnicon.

وأضطجع انكى مع زوجه مكان فتي، مكان وضاء عندما اضطجعا على الأرض وحدهما في دلمون.

وأضطجع أنكى مع زوجه، مكان فتي، مكان وضاء.
لم يكن الغراب ينق في دلمون (كما ينق الغراب اليوم).
ولا الديك كان يصيح صياح الديك (كما يصيح الديك اليوم)
ولا الأسد يفترس،

ولا الذئب يختطف الحمل،
ولا الجحش يعرف كيف يأكل الحب،
وأرمد العين لم يكن يقول "أنا أرمد العين"
ولا الصداع يقول "أنا الصداع"
والعجوز لم تكن تقول "أنا العجوز"
ولا الشيخ يقول "أنا الشيخ"

وعلى أساس هذه المزايا التي تتميز بها دلمون، يصفها بعضهم بأنها (خيال شاعري يتوق إلى وجود أسمي، كان يتمثله السومري من نصيب الإله، وأكبر الظن أنها من محتكرات الملوك أيضا. وتذكرنا بالأوصاف المستفيضة والمفارقة التي في متون الأهرام عن جنة الفراعنة.

وأرض الجنة أو عدن المصريين القدامى لم تكن للموتي الماديين. فاتونا بشتم لم يمت، وإنما جعل في منابع الأنهار، فقد كان السومريون والبابليون يعتقدون أن موطن الآلهة والبشر هو الأسو (Apsu) "المياه العذبة".

وينفرد الدكتور "أحمد سوسة" برأى لا يتفق مع كل الآراء التي ذكرناها فيما يخص مكان الفردوس العراقي القديم، ونسبته فهو ينفي أن تكون "دلمون" الأولى (الأقدم) سومرية، كما ينفي أن يكون مكان الفردوس الإلهي في "دلمون" وبذلك يرجع أن فكرة الفردوس الإلهي أول من ابتداعها الساميون العموريون^١ الذين استقروا على ضفاف نهر الفرات في جوار (عانه - وهيت) في الرما ري وأن أكثر العلماء الآثاريين متفقون على أن (الساميين) كانوا قد نزحوا من الجزيرة العربية إلى ضفاف الفرات في حوالى الألف الرابعة قبل الميلاد وبذلك يكونون قد سبقوا السومريين في الاستيطان بحوالى ألف عام.

ويحاول أحمد سوسة: أن يبني رأيه على أساس الربط بين مستقر الساميين على نهر الفرات وبين موقع الفردوس الإلهي عند فم النهار. فلذلك يرى أن الساميين حددوا موقع دلمون على على نهر الفرات في رأس دلتا نهر الفرات ... في المكان الذي يتفرع النهر فيه إلى أربعة فروع، وهي (فيشون، وجيحون، وحد أقل، والفرات) فيمثل الأول منخفضي الحبانية وأبي دبس، والثاني نهر الهندية الحالي، والثالث مجرى الصقلاوية القديمة، أما الرابع فهو نهر الفرات، أى المجرى القديم المعروف بنهر كوثا.

ويشير بعض الباحثين إلى (جنور سومرية - بابلية) للجنة التوراتية المفترضة، وتقع دلمون التوراتية في عدن، وتعبير جنة عدن، ربما كان مشتقاً من جنات أدوان المعروفة تماماً في طقوس الخصب السومرية القديمة والتي يدعوها جيمس فريزر بـ "جنائن أدونيس".

(١) العموريون أو الأموريين: هي الموجة العربية للجزرية الاولى التي هاجرت في الجزيرة العربية في الالف الثالث

إلا ان المرجح هو أن كلمة (عدن) مشتقة من لفظة Edinu الأكدية، وهي مستعارة من لفظة Edin السومرية، وتعني (سهل، أرض منبسطة) يعزز ذلك أن موقع جنة عدن، في التوراة، إلى الشرق من فلسطين، ومن دلمون هذه يجري نهر يتفرع إلى أربعة فروع هي: فيشون المحيط بأرض الذهب، وجيحون المحيط بأرض كوش، وحداكل (دجلة) الجارى شرق آشور. وجنة عدن عند السومريين تقع جنوبي العراق، ويتفق هذا مع الوصف الجغرافي للجنة العبرية.

ويحدد الدكتور "فاضل عبد الواحد" موقع جنة عدن بالإستناد إلى النصوص السومرية من عصر فجر السلالات (في حدود ٢٤٥٠ ق.م) موضحاً أن (Edin) كانت تطلق على المنطقة السهلية الواقعة جنوبي مدينة أوما (جوخة) وغربي مدينة لجش والتي يتغنون بجمالها ولطيب مناخها وعذوبة مياهها، جنة تدعى دلمون، أرضها مقدسة باركها الإله أنكي إله المياه العذبة ومنحها مياه وفيرة. وقد جاء وصف لدلمون في الكتابات المسمارية في وادي الرافدين بأنها البحر وهي أرضاً "نقية" "وضاءة" "أرضاً للأحياء" ولا تعرف المرض ولا الموت ولم يكن ينقصها سوى الماء العذب اللازم للحياة الحيوان والنبات، لذلك يأمر إله الماء السومري الأكبر "أنكى"، "أوتو" إله الشمس بان يملأها ماءً عذباً يستنبط من الأرض. وهكذا تتحول "دلمون" إلى حديقة إلهية خضراء عامرة بالحقوق المملأى بالفاكهة وبالمروج.

وفي دلمون الإلهية هذه زرعت الآلهة "نخرساك" الآلهة الأم العظيمة عند السومريين، ثمانية أصناف من النباتات بعد سلسلة من العمليات المعقدة

شملت ثلاثة أجيال من الأمهات اللواتي ولدن من إله ما وكانت ولادتهن بدون ادنى ألم أو معناه ولم تعلم (ننخرساك) عن أسماء النباتات وطبيعتها وخواصها، غير أنها تكتشف أن إنكى قد سبقها إلى تقرير ذلك كله وأنه أكل النباتات، فتحقد عليه لهذه الإهانة حقداً مريعاً، وتعلن آلهة المياه. ثم تختفي من بين الآلهة. وتبدأ صحة إنكى في الإنحدار حين تصب ثمانية من أعضائه بالمرض وتضطرب الآلهة اضطراباً شديداً لهذه اللعنة لأن معناها نفي المياه العذبة إلى ظلمات أعماق الأرض، وبالتالي موتها موتاً بطيئاً عندما تفيض الآبار والأنهار في فصل الصيف لولا تدخل الثعلب الذي يأتي بننخرساك، وهي بدورها تخرج إلى الوجود ثمانية ربات شافية تقابل الأعضاء المعتلة فيعود " إنكى " إلى الحياة والصحة.

الجنة في عقائد المصريين القدامى

كانت قوة الإنسان المنظمة في الخارج وقوة الناصح الخلقى في الداخل عاملين باكرين في تشكيل الدين المصري، يقول برستد أن الشعور بالوصاية الخفية محسوساً في مصر قبل أى مكان آخر^١... لقد أدرك المصريون القدامى أن الإله وحتى الإنسان يسировون إلى الموت وكان هذا السير يعني السير إلى حياة أخرى وهو عرضه لمصير الإنسان وقضاء الموت الذي يجري على البشر، بما لا مفر منه، ولقد ربط المصريون بين الجنين في بطن أمه وبين البعث فالميت في قبره مثل الجنين في الرحم، حتى إذا حانت منيته خرج إلى الحياة الآخرة بمثابة ميلاد جديد^٢، نعم لقد اعتقد المصريون القدامى أن الموت ضرورة لتجديد الوجود وهم كانوا يرون أن البلاء شرط مسبق للتجدد، وأن انحلال الكيان القديم شرط ضرورى لظهور الكيان الجديد^٣، لقد اعتقد الناس اعتقاداً راسخاً في حياة ما بعد الموت وسواء أكان المتوفي إلهاً أم إنساناً فهم تصور أن جزءاً حيويًا منه ظل على مقربة من الجسد، لذلك وجب حفظ الجسد حتى تتمكن تلك القوى الحيوية من العودة إليه لتتعم بالطعام والشراب والأثاث وأدوات التسلية والترفيه والتي وضعت كلها في خدمته. وقد صممت المقبرة كتصميم المنزل فالحق بها في معظم الأحوال حدائق على نحو تلك التي كانت تحيط بالمنزل لاعتقاد المصري أن هذه الأشياء يمكن أن تأخذ معه وبالرغم من كل هذا البذخ في تأثيث

(١) جيمس برستد: تطور الفكر والدين في مصر القديمة، ترجمة زكي شوس دار الكرنيك - القاهرة، ص ٣٥.

(٢) كامل سغان : كنانة الله يا فرعون - القاهرة بلا - ص ١٨٨.

(٣) إميل هورفنج : وادي الملوك - ترجمة محمد العزب موسى - القاهرة ١٩٩٦، ص ٥.

المقابر فإن الفشل أمام اختيار يوم الحساب يلغي جدوى كل النفقات التي أنفقت على الجنازة وبناء المقبرة بينما الفقير الذي يخرج بريئاً مطهر تنبسط أمامه كل إمكانيات الأبدية الوعرة، وكذلك تفشل مهما غلا ثمنها في توفير الخلاص للميت المذنب بتحقيق هذا في مثل مصري قديم يقول:

" فضيلة الرجل المستقيم خير عند الله من ثور يقدمه صانع الأثام" ^(١).

لقد تصور المصريون الجنة تصويراً فيه كثيراً من التفاصيل لكننا نجملها بما يلي :

إن الميت في مسيرته للوصول إلى جنة تعترضه إلى العبور إلى هذه المنطقة بعد أن يتجاوز إثني عشر بوابة وهو ينتقل من بوابة إلى أخرى في العالم الأسفل حتى يصل إلى البوابة (المملكة) أو كفن العالم الآخر وهنا في نقطه الساعة الثانية من الليل يصل إليه الشمس أخيراً إلى مملكة القاطنين في العالم الآخر.

ومن الملاحظ أن جبال ومياه عالم الموتى صورة طبق الأصل لوادي النيل بحقله الخضراء الخصبة، التي تحف بها سلسلة بعد سلسلة من جبال الصحراء الحمراء ^(٢).

وراء حدود هذه الحقول المترفة ينعم فيها الموتى المباركون ويمتد فراغ غير مألوف ولا مأهول لا تمسه أشعة الشمس، أنه المنزل المرعب للمذنبين، والنهر الذي يجري فيه هو ليس بنهر النيل وأن (نون) أى فوضي ما

(١) أمرى: مصر في العصر العتيق - ترجمة محمد نوير ومحمد كمال الدين - دار النهضة - القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٩ - ص ١٠.

(٢) هوننج: وادي الملوك: ص ١٠٥ - ص ١٠٦.

قبل الخليقة وتنزل بعده الشمس في المكان المضطرب المرعب وأن نزولها بمثابة الهبوط إلى عالم ما قبل الخليقة كما جاء في كتاب الكهوف:

"إنني أدخل العالم الذي جئت فيه، إنني أضيء مكان مولدى الأول"
إن هذا العالم غريباً مجهولاً تماماً، فيه يدخل الميت منزلاً آخر، الغرب هو اسمه غير معروف لكل من على الأرض، وفي عهد "الرعامسة" نجد أن العالم الآخر (الذات) يخفي كل سر ومن يدخله لا يرحل عنه، وتستخدم كلمات المحجوب أو الغامض... والمقيمون في هذا العالم يعيشون في كهوف غامضة: وفي الإبتهاال الحادي والثلاثين لإلهة الشمس من ابتهاالات الامم يخاطب المصرى مصيبتة (هو الذي يهبط من الغوص تتطلقه منه كلمي امننت (Imenet) في اللغة المصرية. وتصف بعض الكلمات هذا العالم (فيه الموتى يرقدون في الظلام إلى الأبد) وترينا بعض النصوص ترصيفاً جغرافياً للجنة المفترضة فيقول: إن دلمون تتجاوز كل الأبعاد والأرضيه المجردة، فمجرد طول المنطقة العازلة المؤدية إلى العالم الآخر الحقيقي أكبر من طول وادى النيل إلى ما تحت الشلال الثاني وطول المنطقة التى تستقر فيها الساعة الثانية وتبلغ ثلاثة أضعاف تلك المساحة أى (٣٠٩) ميلاً مصرياً^١... واعتقد المصريون أن الشمس تقطع ملايين الأميال في رحلتها اليومية عبر السماوات والعالم الآخر.

وهكذا نعلم أنه حتى الزمن له أبعاد في العالم الآخر، ونجد أن أعماق هذا العالم هي في كل الإتجاهات على شواطئ المياه الأزليه، وفي وسط السماوات أو

(١) هورنتج : وادى الملوك - ص ١٠٨.

في أعماق الأرض نفسها وفي كتاب الكهوف ينادي الإله قاطنى العالم الآخر
قائلاً:

أرشدني إلى طريق الغرب
كي أوقظ الموتى هناك
كي تستقر أرواحهم وتتنفس
كي أنير لهم الظلمات^١.
إن أبدانكم سوف تقوم من أجلكم
إن أعضاءكم سوف تلتئم من أجلكم
إن أعضاءكم سوف تتجمع من أجلكم
إن جسدكم سوف تعود من أجلكم
إن أنوفكم سوف تتنفس النسيم العذب
سوف تخلعون عنكم أكفان المومياة
سيدخل ضوء الشمس عيونكم المقدسة
كي ترون بها الضياء
تحرروا من ضجركم
كي تتمتعون بالحقول الجنة

وعندما يستيقظ الميت على نداء الشمس يستطيع أن يتحرك حراً غير معاق
في جنات المباركين الطيبة حيث يجد نفسه، إن كل ما يلزمه من نعيم يجده هنا
بل إن الإله يضاعف له ما يحتاجه، وهو يبحر في مركبه وبعد ذلك فإن الجسد

(١) هورنونج: وادى الملوك - ص ١١٨.

المستنير (خا) والمتوفي (با) يحتاجان إلى الغذاء العادي وفي أقدم المقابر تبين لنا الرسوم أن أمام المتوفي أكوام كبيرة من القرابين الموضوعه فوق مائدة وهي حاوية على ما لذ وطاب من الأطعمة^١ ويؤكد ما ذهبنا إليه نصوص أدبية عديدة. فهذا نص مصري قديم يقول:

"لا تثق بطول السنين... (لأن الحياة) في مملكة الموت وأن الأحق من لا يأبه بذلك أما من يأتي إلى قضاء الموتى مبراً من كل ذنب فسيكون مثل إله ويسير حراً طليقاً كسادة الأبدية^٢. الإنسان فيه سيعيش ممداً في حقل الفيضان (السعيد) أى في عالم الحقائق السماوية الغنية حيث الأمن والاستقرار وفي هذه الحقول الفردوسية يستطيع المرء أن يحيا بهدوء... ويظهر من نصوص الأهرامات أن فردوس الآخرة الذي بشرت به الديانة المصرية لم يكن إلا لنفر قليل من الناس^٣ وليس للكثير منهم كما هو واضح في رسائل توت في الحكمة والفلسفة^٤، والتي يقول فيها:

أكثر الناس يجهلون الحقيقة
ولهذا فإنهم يخافون الموت
متصورين أنه أعظم جميع المصائب
الموت هو فساد يفني الجسد

.....

(١) هورنونج: وادي الملوك - ص ١٨٢.

(٢) أدولف رومان: مصر القديمة، ص ٢٥٥، ص ٢٥٦.

(٣) ١ - ج سبتر: الموتى وعالمهم في مصر - ترجمة الهيئة المصرية للكتاب ص ٢٨ - ص ٤٥.

(٤) رسائل توت في الحكمة والفلسفة جمع عطية عامر - القاهرة ١٩٩٩ ص ١٤٠، ص ١٤١.

لا تذهب جميع الأرواح إلى مكان واحد
ولا إلى أماكن مختلفة عن طريق الصدقة
وإنما ترسل كل واحدة - في الحقيقة إلى مكان يوافق طبيعتها
إن الجنة المفترضة لم تكن كما لاحظنا إلا لنفر قليل من الناس وأن هذه
الجنة المفترضة التي يعمل فيها الفرد... هي أكثر وفرة من خيرات الأرض إذ
يصل ارتفاع القمح فيها إلى خمسة أذرع وتبلغ السنابل ذراعين، وهذه الصورة
تبين أن دلمون تماثل الأرض إلا أن كل ما فيها هو أفضل وأحسن^(١).

(١) موسوعة الديانات السماوية: دار الفكر بيروت ١٩٩٠، ص ١٥٨ - ص ١٥٩.

الجنة في المعتقدات الهندوسية

على حدود الهند من الشمال عند سلسلة جبال الهملايا. ومن الغرب عند جبال السن كوشي وسليمان حيث تقع أفغانستان وإيران، وتمتد إلى الجنوب من شبه جزيرة العرب في غربها وخليج البنغال في شرقها وسيلان في طرفها الجنوبي ويتجه الإقليم الشمالي منها إلى الشرق حتى جبال اسام.

في الهند أنهار عظيمة، بعضها ينبع من الشمال، حيث الهملايا، ولها أنهار عديدة مثل نهر السند، أو نهر الأندوس وفي مجراه تمتد روافد لاسيما الذي يجري في البنجاب وهي أخصب بلاد الهند، وأكثرها عمراناً وبعض الروافد ينبع من كشمير ويعتبر نهر السند من أطول أنهار الدنيا، إذ يبلغ طول مجراه ٢٩٠٠ كم.

وفيهما كذلك نهر الكنج وهو النهر المقدس لدى الهندوس الذين اعتادوا أن يغتسلوا في مياهه ليتطهروا من ذنوبهم، ويتدفق من جبال الهملايا من ارتفاع أربعة آلاف متر ويعد الصعود إلى هذا المكان من أعظم القربانات عند الهندوس ومنها نهر (جنما) وهو ينبع من الهملايا أيضاً وكذلك نهر (براهما بثر) الذي يأتي من الشمال الشرقي، حيث جبال الهملايا وأسام والذي يجري في البنغال في هذا المكان الذي وصفناه آنفاً.

نشأت حضارة وادي السند في الألف الثالث قبل الميلاد على وجه التقريب وبحلول الألف الثاني قبل الميلاد احتلت مساحة تقدر الهند.

تكشف مدينة (موهنجودار) عن تراث قديم يرجع إلى حوالي عام (٢٥٠٠ ق.م.) وأن الحضارة فيها كشفت عن مدينتين كبيرتين في وادي الأندوس في

(باكستان) يرجع تاريخ إنشاء حوالى ٢٥٠٠ ق.م. هما (هاربيا)، (موهنجودارو) ومحيط كل منهما حوالى خمسة كيلو مترات.

وتذكر "موسوعة الأديان" عن الهندوسية أنها لا تؤمن بحياة أخرى فليس في عقيدتها جنة ونار وثواب وعقاب، وإنما تربط معتقدها في مصير النفس بموضوع التناسخ، فالنفس تنتقل من بدن إلى آخر وأعمال الإنسان هي التي تحدد مصير النفس، فإذا سلك سبيل الخير واتبع الفضائل اعتقت نفسه من دورة الحياة في الأبدال واتحدت بالروح الكلية وإلا تبقى في هذه الدورة متنقلة من بدن إلى آخر"، فإننا نجد في ما نذكره عن "نظام الكرما" من عقائد الهندوسية ما يفيد أن جميع أعمال البشر الاختيارية - خيراً كانت أم شراً - لا بد أن تجازى بالثواب أو العقاب طبقاً لنا لعقائدها في العدل الصارم.

فنظام الكون (إلهي) قائم على العدل المحض، وإن العدل الكوني قضى بالجزاء لكل عمل، وإن في الطبيعة نوعاً من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون إحصاء، وبعد إحصائها ينال كل شخص جزاءه عند عمله، ولكن يكون الجزاء في الحياة... وقراءتنا في نصوص المعتقدات الهندوسية تجعلنا ندرك إيمانهم بعالم الآخرة - وبأى شكل وصفوه - "المنزلق، التائب" وهو راغب في الإستقامة يبلغ "منطقة العدل" حيث يبقى سنين لا حصر لها، وحيث أنه ولد يبدأ حياة أخرى في بيت نقي بين الودعين السعداء (جنة الخلد)، وعلى هذا يجاهد من جديد بأمل لبلوغ الكمال، (في عدم الاكتراث بالتوبة).

ولقد وجدنا أن "هناك دنيا تختلف عن دنيا الحس فهي أعلى وأعمق وأبعد غوراً لا يبلغها البصر ولا تتغير" (الباب الثامن - التدين بالنسك).
"الذين لا يجدون حياة دنيوية ولم يدخروا إلا أنفسهم في شبابهم مدخراً يموتون كمالك الحزين على شاطئ بحيرة الأسماك فيه" (الدامايادا - ١٥٥).
"أبواب الجحيم التي يجتازها الناس إلى الهلاك ثلاثة: باب الشهوة باب الغضب، وباب البخل".

والهندوسية كما يذكر إله المكوت تسميته (ديفا) Diva ونجد فيه من المقرر من المعتقدات الهندوسية التعاليم التالية :

"ثمرة الأعمال تضاعف ثلاث مرات في الحياة القادمة سواء أكانت حسنة أم سيئة، أو مزيجاً من كليهما، ولا ثمرة بلا عمل أبداً" "مقاربة من مبدأ مضاعفة الحسنات كما في المعتقد الإسلامي مع خلاف في العدد".
(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)، ومخالفة لها في عدم مساواة الحسنة بالسيئة بالجزاء أو مزيجهما: (من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلاً) (المؤمن : ٤)
وبالنسبة للبوذية: ذكر أن لها إلهاً للموت مشابه لما في الهندوسية وبما يفيد بمحاكمة الذات أمام الإله "ياما" بعد الموت.

"يخطئ المرء في العقل وفي الكلمة وفي التفكير، ثم حالما يتفتت الجسد بعد الموت ويقوم بطريقة مفزعة، مقدمة إياه للعقاب وتذكر كتب الهندوسية .

إن الإله " ياما " يؤنبه قائلاً: أذكر أيها الإنسان ألم تر ظاهراً بين الناس رسولنا الأول، فالثاني، فالثالث، لا لا يا سيدي اذكر أيها الإنسان، ألم يحدث هذا لك تحذيراً وعبرة فيقول : ساكون مثلهم أيضاً، سأفعل الطيبات في العمل

والقول والتفكير، لم أفعل يا سيدي، كنت مهملاً ، أذكر أيها الإنسان أنه بناء على إهمالك يفعلون بك، وا أسفاه، فهذه أفعال لم تقم بها أم ولا أب ولا أخت ولا صديق ولا زميل أو قريب سواك، نعم أتيت بهذه الأفعال، فأنت الآن تجني نتائج ما كان".

وجاء في "(لأنجترانيكايا - الرابعة).

" لا مكان لأحد يستطيع إخفاء جريته ...، بالنفس فيك أيها الإنسان، تعرف ما هو " صحيح ، وما هو " زائف".

وبإزاء ذلك فإن في الأقوال المنسوبة لبوذا ما يشير إلى غير ذلك النفس الروحي الذي مر ذكره في مسأله الجزاء فيما يبدو أن ذلك كان تطوراً في الفكر البوذي مماثل لما تم في الفكر الهندوسي حيث أن ناموس الطبيعة كما نقل عن " بوذا " هو الذي يسيطر على كل شيء، وهو يقضي بأن لا يدوم العذاب والجحيم إلى ما لا نهاية، فلا تدوم دلمون ولا النعيم ومهما طالب عهداً فأنهما زائلان، وأن كل من لا يتمسك بالأخوة العامة والمحبة الشاملة مع سائر الخلق فإن ناموس الطبيعة يعاقب أشد العقاب، وأن ناموس الطبيعة ليس بخاضع لذات قدسي يتصرف فيه كما يشاء، بل ذلك الناموس مستقل بذاته، نافذ بنفسه، لا يتأثر بمؤثر بشري أو إلهي أبداً.

وإنما دعى بـ (جنة النفوس) ليتجارى مع ما ذهب إليه بعض الباحثين من الاستنتاج بأن: كل ما جاء عن الجنة والنار ما هو إلا تقريب المعاني المستحيلة بقدر الإمكان وأن دلمون صورة ومقام تشتمل على جميع الدرجات من المتع

الحسية وهولاً إلى المتع الروحية الخالصة، فيما يكون العذاب لزوم وما يلزم وحلول الصفة بموصوفها، وانتظام الأرواح في سلم درجاتها الحق...

وأن العذاب يأتي من إحساس من هم في أسافل الدرجات بالغيرة والهوان والخسران الأبدي... ويحرق هذا الإحساس الصدور كما تحرقها النار وأكثر، وسوف يكون هذا النكال والتنكيل، ينكل الواحد منا بنفسه بالدرجة التي وضع نفسه فيها والتي أعذر إليها بأعماله في الدنيا".

ويتفق ذلك ما يدعوه د. محمد عبد الله دراز بـ (سلطان الضمير) الذي يقول عنه أنه: لا ينتهي بإنتهاء هذه الحياة، بل أن له دوراً هاماً عند الحساب في دار الجزاء حيث يتقدم بين يدي فصل القضاء ويصدر حكمة على صاحبه قبل أن يصدر عليه الحكم الإلهي.

الجنة عند المجوس (أو الزرادشتية)

المجوس (Maqi) كلمة يونانية الأصل لأصل (Maqos) أطلقها اليونانيون على كهنة زرادشت عندما دخلو فارس بقيادة الإسكندر الكبير وذلك لأنهم برعوا في السحر (Maqic) ولهذا اشتقت الكلمة الأوروبية التي تعني السحر في حين يذهب الدكتور " طه باقر " إلى غير ذلك فيقول أن المجوس مجهولو الأصل ولا يعلم ديانتهم والتي لم تكن فارسية في أصلها إلا بأشياء قليلة ويضيف الفرس كانوا وثنيين مشركين مثل بقية القبائل الهند وأوربية الأخرى، يعبدون قوى الطبيعة وجسموها وشخصوها على هيئة آلهة، فعبدوا الشمس بهيئة إله وسموه (مترا) والقمر باسم (اماه) والأرض باسم (ازام) والرياح باسم (واهبوا) ثم عرفوا بعد ذلك بعبادتهم للإله (اهورمزدا) .

وتقدم الزرادشتية تصوراً لعملية الجزاء يتقارب من حيث المضمون مع المنطق الديني السماوي، ويختلف عنه في إفتراق عالمي الجزاء للخير والشر فيما يبدو، وكان معترك الصراع ما بين روح الخير وروح الشر، كما هو واضح في فلسفة زرادشت من، أن الإنسان خلق حر الإرادة يختار بين الخير والشر، وأن الأفكار التي يفكر بها، وكل الكلمات التي يقولها، والأفعال التي يأتيها كل يوم من أيام حياته مكتوبة في كتاب الحياة، فالأفكار والكلمات والأفعال الصالحة مكتوبة في جانب، والأفكار والكلمات والأفعال الخبيثة مكتوبة في الجانب الآخر، وعندما يموت الإنسان تذهب روحه إلى الحفيظ على كتاب الحياة.

فإذا كانت أفكاره وكلماته وأفعاله الأخيرة أعظم من أفكاره وكلماته وأعماله الخبيثة ذهبت إلى دلمون، وإلا ذهبت إلى عذاب الجحيم... (الخالدة)

وفي يوم الحساب ينتصر الإله الواحد على الشر عندئذ يبعث الموتى، ويقع المذنب على الأرض فتشعل وتذوب جميع المعادن فتتشر على الأرض كأنها سيل ملتهب وعلى كل الناس الأحياء والأموات المبعوثين أن يعبروا مجرى (السيل) الذي يبدو للأرواح الخيرة وكأنه لبن دافئ فيضطرهم الأمر إلى المرور به ويمضون منه إلى الجنة، أما الأرواح الشريرة فتظل تحترق إلى الأبد خالدة في المعدن الملتهب وعندئذ يطرد الإله الخير روح الشر وكل من يتبعه من الأرواح الخبيثة إلى وسط الأرض ويدعها فيها إلى الأبد... وفي ذلك اليوم يبدأ العالم السعيد الخير الذي لا شر فيه ويدوم سرمدياً".

أما موقع الجنة المفترض في الديانة الزرادشتية فهي تقع في أقصى شرق جبال البرزهرابيرازيتي (Hanaberasiti) ويرتفع هذا الجبل متجاوزاً النجوم إلى عالم النور اللانهائي ويصل إلى جنة اهورامزدا في منزل النهم وهي أم الجبال وقمته في القمة الأبدية حيث لا ليل ولا برد ولا مرض، وتذكر بعض كتب الزرادشتية المتأخرين أن الروح بعد أن تعبر صراط الحساب تحتل

- منازل ثلاث (منزل الأشقياء) في جهنم، دار الجحيم.

- ومنزل السعداء في جنة فردوس النعيم.

- ومنزله وسطي بين هؤلاء وهؤلاء.

فمن ثقلت موازينه ورجعت حسناته سيئاته احتلت روحه المنزلة الثانية، ومن خفت موازينه، ورجحت سيئاته على حسناته ذهب روحه إلى المنزلة الأولى، ومن تساوت حسناته وسيئاته احتلت روحه المنزلة الثالثة^(١).

مما تقدم يمكن القول :

أن المجوس أو الزرادشتيين قد عرضوا الجنة وسموها (بالوجود الحسن) أو (دار الحمد) وكان الظن أن موضوعها فوق جبل (اهاز) لاعتقادهم أن أول ما خلق الله هو الجبال. وقد اشترطوا لدخول هذه الجنة مجموعة من الشروط هي: أن الأفكار الطيبة هي خطوته الحقيقية نحو الخلود والشرط الثاني لدخوله دلمون المفترضة هو الكلمة الطيبة والثالثة بالأعمال الطيبة، وهذه الأعمال أو الخطوات هي التي توصله إلى النور اللانهائي الذي هو النعيم كله والذي يسكن فيه إلى الأبد مع الآلهة الروحانيين في النعيم اللانهائي وهذه دلمون لا ليل فيها ولا مرض.

(١) للمزيد يراجع: أمين عبد الحميد - الثقة في الأدب الفارسي، حامد عبد القادر زراشت الحكيم.

دراسة وتأويل

في الزمان والمكان المأول للجنة " دلمون "
في المواقع المفترضة لجنة الفردوس

(البحرين).

١- الخليج العربي

(منطقة القرنة).

٢- العراق

(عدن).

٣- اليمن

(موهنجودادوا).

٤- الهند

(كوشا).

٥- الحبشة

هل البحرين في الخليج هي الموقع المقرض لدعون

عرف الخليج العربي في المصادر التاريخية القديمة (السومرية والأكدية) ببضع تسميات منها "البحر الكبير" "تامتوم رابيتوم"^(١). وبحر شروق الشمس (تامتوم شا صيت شمش)^(٢) والنهر المر (المالح) نار ماررات^(٣) وبحر الكلدانيين تامتوم (شامات كالدي)^(٤). ونهر بيت يقين المر (نار ماررات ثابت ياكين)^(٥).

وقد اطلق سترابون (٥٨ ق. م - ٢٣ ق. م) تسمية "سانيوس أرابيكوس" أي (الخليج العربي) وجراء احتلال الفرس لمناطق عدة من غرب آسيا لقرون كثيرة بما فيها الاراضي المطلة علي الخليج العربي خلال فترات الاحتلال الأخمينية (٩٣٩ - ٣٣٢ ق. م) الاحتلال الفرثية (١٤٧ - ٢٢٤ ق. م) والاحتلال الساساني (٢٢٤ - ٦٣٥ ميلادية) باسم (سانيوس بيرسيكيوس)^(٦). لقد وضع كريمر " موقع دلمون بادئ الأمر في مكان جنوب غرب إيران^(٧). ولكنه عاد في دراسة لاحقة وجعلها أرض (السند) أو بعض أجزائها ، وناقش " كريمر " راية بأن دلمون هي الأرض التي سكنها بطل الطوفان السومري (زيو سودرا) الخالد وحيث تجلب جميع بلدان العالم المعرفة لدي

(١) هنري رياض: اليمن وحضارات الشرق القديم مجلة كلية الآداب (جامعة صنعاء، ١٩٧٩، ص ٣٥٦.

(2) D.D. Lucken bill, The ANNals of sennochenib, As, chicop, London, 1924, P. 38.

(3) L.W. king, chronicles of Early Babylonain kings wol. 11, London 1959 p. (3) 1924. 25.

(4) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العالم لايت بدوي ١٩٧٧ ج: ص ١٤. As. P ٥٣

As . P ٢٣

(٥) سامي سعيد الأحمد : تاريخ الخليج العربي منشورات مركز الدراسات الخليج العربي - جامعة البصرة ١٩٨٥ - ص ٩.

(٦) سامي سعيد الأحمد : الخليج العربي ، ص ٩ .

(7) S. N. Kreamer , Dilmun, The LANA of Living , Bulletin of American School of Pniatal Reserach (BASOR) Vol 96 December 1944 .

السومريين آنذاك بضائعهم وفتوحاتهم . ونجد السير (ليناردو ولي) في تنقيباته في مدينة أرو بجنوب العراق يتحدث عن عاج وأدوات كاملة الصنع من العاج تم جلبها من (دلمون) كي يجعل من دلمون مصدراً للعاج . وقد استند " كريمر " في قرضيته هذه علي ان دلمون الهندية بلا دليل تاريخي وأن كثرة الابار ومحلات الاستحمام العامة والخاصة في مواقع وادي السند واهتمام سكانها كما يظهر من الاهتمام بالنظافة المنتظمة ليس دليلاً كافياً علي ان مكانها هناك .

وأن هذا الاهتمام بالماء برأي "كريمر" يجعلها محببة إلى الرب (أنكي) (أيا) ودلمون فعلاً محببة الي الاله (أنكي) الذي جعلها طاهرة وباركها . وقالت عنه الأساطير السومرية المتوفرة طاهرة ونظيفة ومشوقة ودارت أحداث أساطير سومرية فيها ⁽¹⁾ .

ونظراً لغياب التدوين في ماضي الخليج بشكل كتابي يكشف العلاقات الوثيقة والواسعة بين العراق والخليج وذلك كونه لفترات طويلة كان جزءاً من الدولة العراقية القديمة لذلك تعد المصادر المسمارية من بين أقرب المصادر الأساسية لدراسة تاريخ الخليج العربي ، وتغطي المصادر المسمارية فترة طويلة من أحداث الخليج العربي تبدأ من منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد وتنتهي مع آخر عهود الحكم حكم الدولة الكلدانية في تاريخ العراق الندية والمتمثل بسقوط بابل عاصمة الدولة البابلية الحديثة في عام ٥٣٧ ق . م . في عهد الملك بابونشيد .

الأرض والمناخ في شبه الجزيرة العربية والخليج في الصور القديمة :

(1) S. N Kramer : The Ludus Civilization and Dilmun The Sumeriai Parsdise Lawd Expedition Vol . 6 No .3 , 1964 pp . 45 . 46 .

في شبه الجزيرة العربية جبال وصحاري ، وتحيط بها البحار من جهاتها الثلاث . وتمتد في حافتها الجنوبية بمحاذاة البحر العربي . وتسمى السلسلة الغربية بجبال السراة والتي تقع في الحجاز وعسير واليمن . كما تنتشر في أقسام متفرقة من شبه الجزيرة مناطق صخرية في الأنحاء الشمالية من نجد . وجبال السراة تحصر بينها وبين البحر الأحمر سهول ساحلية تضيق وتقلشي هذه السهول في مناطق قرب الجبال من البحر .

وتكثر في سواحل البحر الأحمر الصخور والشعب المرجانية والتي ساهمت في قلة عدد المواني علي هذه السواحل والسراة جبال وعرة التي يتراوح ارتفاعها ما بين (١٢٠٠ - ٥٠٠٠ قدم) وتقل في سفوحها النباتات ، إلا أنه تتوفر علي أطرافها الشرقية الابار وعيون المياه . وتمر جبال السراة في بلاد اليمن حتي تنتهي عند خليج عدن في الجنوب فتسبب تساقط نسبة عالية من الأمطار ساعدت علي قيام الزراعة ونمو النبات الطبيعي .

ويلاحظ ان نسبة كبيرة من مياه الأمطار تنفذ من خلالها . وتتجمع في باطن الأرض ثم تسيل في الطبقات الصخرية حتي تجد لها منفذاً طبيعياً فتخرج مكونة إحدى الواحات المنتشرة في أنحاء شبه الجزيرة ، وأبرز هذه الواحات ما يقع منها علي امتداد الحافات الشرقية لسلسلة جبال السراة في منطقة الحجاز مثل يثرب (المدينة) والعلا ومدائن صالح وتيماء . وفي الأنحاء الشرقية تعد الهفوف من أوسع الواحات وأغزرها ماء ، وكذلك الأحساء والقطيف . كما يشمل هذا الخزان الجوفي المائي جزر البحرين ، والحافات الشمالية لسلاسل جبال عمان حيث واحات العين والبريمي . ثم هناك واحات موسمية تزدهو بخضرتها

وبأشجار النخيل التي تنمو فيها مثل يبرني الكائنة غلي الجنوب الغربي من الأحساء .

إضافة الي ذلك هناك في أنحاء شبه الجزيرة مجاري الوديان الواسعة مثل السرحان، والبطن، والرحمة، والدواس، والخور، وحضرموت، والعمدي، وبسبب ارتفاع مستوي المياه الجوفية في قيعان هذه الوديات فقد صار بالإمكان الحصول علي الماء من جوفها بحفر الابار بعمق قليل لقد كشفت عمليات المسح الاثارية في مناطق هذه الوديان ، وعند حافتها عن مواطن للإستيطان البشري في عصور تاريخية قديمة مختلفة .

وتحيط بشبه جزيرة العرب البحار من جهات ثلاث . فالبحر الأحمر في غربها والبحر العربي في جنوبها والخليج العربي في شرقها . وكان لهذه البحار ولا زال دور هام في حياة السكان للاقتصاد العديد من الظواهر الجيومورفولوجية Geo-morphology أن مناطق الوديان في شبه الجزيرة كانت تزخر في الحياة في إحدى حقبة العصور الحجرية الاخيرة التي غزرت فيها الامطار . ومن هذه الظواهر كثرة تعرجات الأنهار وفروعها ووجود مساطب الأنهار المعروفة تضاريسياً عند مجاري المياه مصباتها . لقد تساقطت أمطار غزيرة في أنحاء شبه جزيرة العرب قبل ست وثلاثون ألف سنة ، وحتى عشر ألف سنة قبل الان ، نتج عنها ما يشاهد من اثار للبحيرات في منطقة الرابع الخالي . وهناك أمارات لفترة مطيرة أخرى تعرضت لها شبه الجزيرة بين السنوات (١٠٠٠٠ إلى ٤٠٠٠) قبل الان تركت آثارها في عدد من المدرجات في المنطقة الوسطي من شبه الجزيرة والتي يعود تاريخها ايل ما قبل نحو

٨٠٠٠ سنة ، وأخري في المنطقة الخلفية من وادي " الدواس " رجع عمرها الي ما قبل نحو ٦٥٠٠ سنة . كما أن هناك دلائل تشير إلي تعرض الربع الخالي لأمطار غريزة ما بين ٩٠٠٠ - ٦٠٠٠ سنة قبل الان .

وعند السواحل الشرقية لشبه جزيرة العرب يقع منخفض الخليج العربي الذي يبلغ طول " ٨٥٠ كم " من شواطئ العراق شمالاً حتي مضيق هرمز في الجنوب ، حيث يتصل عنده بخليج عمان ثم بالبحر العربي والمحيط الهندي . ويتراوح عرض الخليج العربي ما بين ٥٠ - ٤٠٠ كم ، ويتراوح عرضه في ١٠٠ م ويزداد هذا العمق كلما اتجهنا جنوباً وشرقاً نحو سواحل إيران . غير أن حالة مياه الخليج العربي لم تكن علي ما نجدها عليه الان ، وخاصة في المراحل الأخيرة من العصور الجليدية والتي مرت علي الكرة الأرضية في المليون سنة الأخيرة . إذ تشير الدراسات الجيولوجية والتي أجريت في قاع الخليج في مطلع السبعينات من القرن العشرين أن مياهه قد انخفضت إلي أكثر من مائة لتر في حدود ١٥٠٠٠ قبل الميلاد ، اي أن بقاعة صارت أرضاً يابسة انذاك ، ويظن ان نهري دجلة والفرات كانا يجريان في هذه الأرض منفصلين فيصبان عند خليج عمان . غير أنه وبعد انقضاء اخر ورابع موجه جليدية ، بسبب ارتفاع نسبي بدرجة حرارة العالم انذاك مناسب المياه في البحار والمحيطات بالارتفاع بعد ذوبان كتل هائلة من الجليد فنال حوض الخليج العربي منها وقد ذهبت الدراسة التي قامت بها سفينة الابحاث الجيولوجية الألمانية التي درست قاع الخليج بأن ثلاث شطآن تظهر في ثلاث مراحل وهذه الشطآن تقع عند الاعماق

٣٠م ، ٥٠م ، ٦٢م علي التوالي بحسب تدرج امتلاء قاع الخليج تبعاً للكميات المستلمة من المياه .

ففي عام ٧٧٠٠ قبل الميلاد كانت مياه الخليج العربي أقل منها اليوم بثلاثين متراً وفي حدود عام ٤٩٠٠ قبل الميلاد ، صارت مياه الخليج تقل بمستواها عما هي الان باربعة امتار ، بينما وصلت هذه المياه كما هي عليه في الوقت الحاضر في عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد .

أما في عمان فتكثر الوديان التي كانت في العصور المطيرة ، التي تعقب إحدى الفترات الجليدية الأربع وتشير الدراسات لوجود انهاراً تمتلئ بالمياه إلا انها جفت عند حلول مرحلة الجفاف التي تعيش نهايتها اليوم غير أن في قيعانها بقايا من المياه تكفي لنمو الأعشاب . هذا وتقع شبه جزيرة " مسندم " قرب الحافة الغربية لرؤوس الجبال وتليها مجموعة " جزر سلامة " وتمتد علي طول الساحل الغربي للخليج العربي ستة أمارات عربية تعقب من الجنوب سلطنة عمان، دولة الإمارات العربية المتحدة وشبه جزيرة قطر والإحساء وقطيف وجزر البحرين والكويت. وتتألف دولة الإمارات العربية المتحدة من سبع غمارات، تطل ستة منها علي الخليج : أبو ظبي ودبي والشارقة وعمام وأم القوين، ورأس الخيمة . والإمارة السابعة هي الفجيرة والتي تقع عند خليج عمان. وفي رأس الخيمة جبال ووديان وكتبان رملية . وفي الساحل بين دبي وأبو ظبي خلجان ومستنقعات وواحات أبرزها العين والبريمي . وهناك العديد من الجزر تكثر فيها الاشجار مثل قرنين ودلما وزركو ودينية والحمرا . ويبلغ طول شبه جزيرة قطر ١٥٠ كم وعرضها نحو ٨٠ كم ومن مهن اهلها التقليدية صيد

الأسماك واستخراج اللؤلؤ وممارسة الزراعة الديمية بداية قطر تتألف أراضي شبه جزيرة قطر في الغالب من احجاب ورمال ومناطق ملحية وفي بعض مناطقها تنمو الأشجار . وعلي طول الساحل الغربي لشبه جزيرة قطر صخور جيرية وأخري كلسية كما أن هناك تلالاً علي هذا الساحل بدءاً عند مدينة دخان وحتى خليج سلوي .

وسواحل قطر الشمالية والشرقية تحتلها تكوينات صخرية واطنة . وتؤلف الصحاري الرحلية الاجزاء الداخلية من شبه الجزيرة وفي بعض اماكنها مغاور وبرك ماء . وسواحل شبه جزيرة قطر كثيرة التعرجات . وافادت نتائج التنقيبات في واحة اباروك أن الأحوال المناخية في قطر كانت ملائمة لحياة الاستيطان ومنذ حوالي عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد .

وتتألف البحرين من ثلاث وثلاثين جزيرة تقع وسط الخليج العربي بمحاذاة الساحل الغربي وتبعد عنه مساحة ٢٥ كم. وتؤلف هذه المسافة طرقاً بحرياً نشيطة للحركة التجارية والصلات الحضارية عبر العصور القديمة المختلفة وابرز الجزر هي البحرين والمحرق وستري وام نعيسان والنبى صالح واغلب صخور جزيرة البحرين جيرية والمياة التي تحيطها بها ضحلة وتكثر في الجزيرة العيون العذبة وابرار الينابيع ام المهور قرب المحرق والكوكب عند خورقشت وفي جزيرة المنامة توجد ابار خالد وام غويفة .

اما الاحساء فتتكون من سهول مرتفعة في الغرب نظم العديد من التلال . وفي المناطق الساحلية مياة عذبة وفيرة وبالاخص في الجنوب حيث تكثر الابار والعيون ولذا كانت الهفوف من ابرز مناطق الواحات

اما القطيف فتقع على خليج يشمل جزيرة تاروت وتكثر في القطيف عيون الماء والى الشمال من القطيف تقع اطلال مدينة الجبيل المهجورة.

وعند النهاية الشمالية الغربية للخليج العربى تقع الكويت ومعظم اراضيها منبسطة وسواحلها رملية وفيها بعض الهضاب والقليل من التلال الزراعة ممكنة حيث تتوفر المياه ليس بالكويت انهارا جارية سوى مجرى المقطع الذى يصب فى الخليج العربى عند صخور المعطة جنوب شرقى الكويت وفى الغرب من اراضى الكويت يقع وادى الشق القليل العمق وعند حدود الكويت مع العراق يقع وادى البطن والى شرقه الكثير من الوديان الجافة والساحل الغربى للخليج العربى كثير التعاريج والخلجان ويضم راس الخليج جزرا عديدة مثل بوبيان ووربة وام المرادم .

ويظهر من نتائج التنقيبات الاثرية الاخيرة على ساحل الخليج العربى الغربى ان مناخ المنطقة كان رطبا قبل عشرة الالف سنة من بعض التقلبات المناخية يدل عليها شكل الارض والتضاريس المربطة بالمياه الجارية.

حضارة اقطار الخليج العربى فى عصورها القديمة

يعد حوض الخليج العربى احد اهم مناطق غربى اسيا وقد كان ولا يزال ممرا حيويا للتجارة القديمة وقد لعب هذا الممر المائى دورا حضاريا بارزا فى العصور القديمة اذ كان يصل بين موطن حضارة وادى السند البارزة وجنوب شرقى الجزيرة العربية ووادى الرافدين وبلاد الشام وحوض البحر الابيض المتوسط ومنذ الالف الرابع قبل الميلاد . جاء ذكر الخليج العربى فى التاريخ اليونانى فى كتب المؤرخين الذين دونوا لحياة الاسكندر المقدونى امثال المؤرخ (اريان) الذى كان قد وضع مؤلفه باخبار الاسكندر عام ١٧٠ ميلادية معتمدا فى ذلك على كتب من تقدمه وخلاصة ما ذكر (اريان) هذا : ان الاسكندر بدأ بارسال البعث قبل وفاته فى عام ٣٢٣ قبل الميلاد ، الى الخليج العربى لاستكشاف سواحله وجزره

فقد كانت خطة الاسكندر اخضاع المناطق الساحلية وثغورها المطللة على الخليج العربى لاعتقاده بان ثروتها ومواردها لاتقل عن غنى وثروات الفينيقيين كما كان ينوى تجهيز اسطول من السفن وارساله حول شواطى شبه جزيرة العرب لاختضاع العرب سكنه شبه الجزيرة الذين لم يرسلوا الوفود اليه معانين طاعتهم واحترامهم كما فعل غيرهم . ويذكر (اريان) ايضا ان الاسكندر طمع فى بلاد العرب لما سمع عن غناها بالمر والبخور والقرفة وان موانئها العديدة صالحة تماما لرسو اسطوله ووجود الاراضى الملائمة لاقامة مدن جديدة عندها ، كما انه قد علم بان فى البحر (الخليج العربى) جزيرة ينبى احدهما تبعد عن

راس الخليج نحو ٢٢ كم ، وهى الصغرى وفيها ومعبد الالهة (ارتميس) ومراع
للاغنام والغزلان المقدسة وكلها ملك لهذه الالهة .

فامر اسكندر (كما يقول اربان) بتسمية هذه بتسمية هذه الجزيرة باسم
(ايكاروس) على اسم احدى جزر بحر ايجة اليونانية اما الجزيرة الكبرى والتي
تبعد عن مسيرة المركب ليوم وليلة ان كانت الرياح موافيه ، فقد اسماها تيلوس
(tylos) وقد كانت ارضها تصلح للزراعة ونمو الاشجار بما فيها النخيل
والفاكهة . ومن الأرجح ان تكون هذه (اي تيلوس) هى البحرين والجزيرة
الاخري الصغرى (ايكاروس) فى اعالي الخليج فيلكا .

ثم يذكر (اريان) ان الاسكندر المقدونى توجه الى تلك الجهات وامر باقامة
بعض القلاع والمدن الساحلية واسكن فيها عددا من جنوده الراغبين فى الاقامة
بها او الذين صاروا عاجزين عن العمل فى جيوشه .

ضعفت اهمية الخليج العربى فى العهد الرومانى بعد تحول طرق التجارة الى
البحر الاحمر لتردى العلاقات السياسية بين الرومان والغرب الذى كانوا
يسيطرون على اجزاء من وادى الرافدين الذين كانوا فى صراع دائم مع
الامبراطورية الرومانية والذى نتج عنه الرقابة المشددة على الحدود بين
الامبراطوريتين (الفارسية والرومانية). وادى هذا الى توقف حركة التجارة بين
الجهتين لفترة طويلة تدنت خلالها مكانه الخليج وعدد من مدن القوافل الواقعية
على الطريق التجارى بين الخليج العربى المار غربى وادى الرافدين فبادية
الشام والبحر المتوسط إلا أنه بتعويض صرح امبراطوريتى فارس والروم
بايدى طلائع الجيوش العربية الاسلامية فى النصف الثانى من القرن السابع

الميلادى واستتاب الامن فى ربوع الشرق الادنى عادت للخليج العربى مكانته واهميتة بجودة طرق التجارة الدولية لالية وبنشاط متزايد وصار ممرا مائيا حيويا يربط الشرق واسيا بالغرب واروبا .

ان السواحل الشرقية للخليج العربى ضحلة تنحسر عنها المياة سنويا نظرا لترسات طمى الانهار التى تصب فيه وابرزها شط العرب ونهر الكارون بينما تتميز سواحله الغربية بكثرة الخلجان والاهوار والجزر العديدة كما تتكون هذه السواحل من تلال رملية وسهول صحراوية تتخللها عدد من الواحات الخصبة ذات التربة الطينية الرملية الملائمة لنمو اشجار النخيل والفاكهة وبعض الخضروات . وفى بعض جزره وسواحل هذه ينابيع ذات مياه عذبة صالحة للشرب ،وبالاخص فى جزر البحرين وتدفق الابار الارتوازية والينابيع فى عدد من الامارات وعند سواحل عمان وقطر ، وهنا لابد ان نشير ان اعماق الخليج العربى ومنذ العصور القديمة قد اشتهرت كونها من ابرز مصائد اللؤلؤ الطبيعى الذى ظل عماد ثروة اقطاره الخليج وتجارته حتى تدفق البترول وبكميات كبيرة فى البر والبحر فعظمت اهمية الخليج العربى وسلطت الاضواء على اقطار وثروتها النفطية منذ ذلك الحين.

ان استمر اعمال الاستكشاف والتنقيب غن الاثار فى اقطار وجزر الخليج العربى وسواحله وعدد من مناطق الغنية بمواقعها الاثرية اظهر العديد من الحقائق عن زمن استيطان الانسان فى هذه البقعة من العالم القديم وعن علاقاتها الحضارية والتجارية مع حضارة وادي الرافدين الى الشمال ووادي نهر السندالى الشرق حيث موطن صغارة خراباً وموهنجدارو كما ان المسح الاثرى

كشفت في قطر عن استيطان اكيد لانسان العصر الحجري القديم والحديث . فقد عثر في هذا البلد الخليجي على كميات كبيرة من الالات والادوات من حجر الصوان من بيتها فؤوس ومقاشط ورؤوس سهام ، كما عين خمون مستوطنا اثريا موزعة يقاها على هذين العصرين (اى الحجري القديم والحديث) . وفي جزيرة ام النار في اماره ابى ظبى تم التعرف على عدد من المقابر الاثرية ترجع في زمنها الى الالف الثالث قبل الميلاد ويعود زمنها الى حدود ١٨٠٠ قبل الميلاد اى الى العصر البابلي القديم ، ان بعثة تجارية من العراق ذهبت الى دلمون لشراء النحاس ووثيقة عراقية اخرى من نفس الفترة تتهم تاجرا دلمونيا بفساد الذمة .

ومن العصر الاشورى الحديث جاءنا نص للملك سرجون الثانى الاشورى فى سنة ٧١٠ قبل الميلاد يذكر فيه انه تسلم هدايا من ملك (دلمون) الارض التى تقع كالسمكة على بعد ٦٠ ساعة فى وسط البحر الذى تشرق منه الشمس . وان اخر نصف اكتشف لحد الان فيه ذكر (دلمون) يعود زمنه الى عام ٥٤٤ قبل الميلاد . وفى اماكن عديدة من هذه النصوص والوثائق العراقية القديمة يرد اسمان اخران من دلمون ، هما مكان وملوखा ، وصار من المقبول الان بين جمهرة الدارسين ان هذين الاسمين الجغرافيين يشيران الى عمان ومواطن حوض وادى نهر السند الحضارية على التوالى . وورودت هذه الاسماء الثلاثة فى النصوص يكون عادة حسب الترتيب التالى : دلمون – مكان – ملوखा هذا يؤكد مواقعها الجغرافية المتتابعة بالنسبة لوادى الرافدين .

ومن الجدير بالاشارة الية فى هذا الشأن ان عمان والجبل الاخضر كانتا مصدر رئيسيا من مصادر تجارة النحاس مع وادى الافدين ، مباشرة إما عن طريق دلمون (البحرين) كما ان فى حوض وادى السند فى شمال غربى القارة الهندية قد قامت حضارة تعاصر حضارة السومريين والاكديين فى مواقع شهيرة مثل خرابا وموهنجدارو وكانت معظم واردات مدن العراق الجنوبية من الأخشاب تأتي من ملوखा موطن حضارة وادي نهر السند عبد دلمون التي كانت تعد المحطة التجارية الرئيسية فى الخليج العربى فى العصور القديمة .

والى ذلك يشير العالم "رولنسون" والذى كان اول من ربط بين البحرين (دلمون) مشيرا الى احتمال ان تكون جزر البحرين فى الخليج العربى هى موقع دلمون القديمة وقد استند لنصون فى رأيه هذا الى كتابة مسمارية كان قد عثر عليها الكابتن ديوراند فى البحرين فى سنة ١٨٧٩ وهذه الكتابة تتألف من ثلاثة اسطر بالخط المسماري وباللغة السومرية وجاءت على حجرة بشكل قدم انسان يعود تاريخها الى العصر البابلى القديم (١٩٥٠ - ١٥٣٠ ق.م) كالآتى:

قصر ريموم .

خدم الاله أنزاك .

من (قبيلة) امكاروم .

والاله انزاك قد ورد ذكره فى قائمة الالهة فى وادى الرافدين على انه كبير الهة دلمون (٢) كمان عرف فى جميع عهود وادى الرافدين الخضرية بانه حامى جزيرة (او جزر) دلمون والمناطق الساحلية . وقد جاء وصف لدلمون فى الكتابات السماوية من وادى الرافدين بانها جزر فيها كثير من المياة العذبة ، تبعد

عن وادى الرافديين مسافة يومين بطريق البحر اذا صاحبته ريح طيبة . وهناك ترتيلة سومرية يرجع عهدها الى حوالى الفى سنة قبل الميلاد تصف دلمون من انها ارض مقدسة باركها الاله إنكى اله المياة العاذبة ومنحها الماء بطلب من الهة دلمون نن - سيكال واذ يستجيب إنكى الى طلبها وببركة اوتو اله الشمس يصل الماء العذب الى دلمون وتختتم الترتيلة بهذه الكلمات :

مينتها تشرب الماء الوفير

دلمون تشرب ماء الرخاء

ابارها ذات الماء المر، انظر

تراها وقد صارت مياها عذبة

حقولها انتجت الغلة والقمح

دلمون صارت دارا للشايطى

ومراسى الارض

وفى قصة الطوفان السومرية اشارت الى ان الناجى الوحيد من تلك الكارثة الرهيبة قد كوفئ بمنحة الخلود واسكن فى دلمون كما ان البطل جلجاش قد سعى فى دلمون حيث يقيم جده اوتونا شتم بحثا عن الخلود .

هذا وان اكتشاف الرقم الحجرية التى تحمل الاسطر الثلاثة بالحط السماوي وباللغة السومرية فى بقايا اثرية مؤكدة وواضحة فى قلعة البحرين يدعم الراى الذى يقول من أن موقع دلمون القديمة هو جزر البحرين او انها كانت فى الاقل حاضرة لذلك القطر البحرى الذى جاء ذكره فى المصادر السمارية على انه مملكة دلمون وان حدوده الشمالية تبدأ عند جزيرة " فليكا " الكائنة عند النهاية

الجنوبية لوادي الرافدين المطل على الخليج العربي وان الاله "انزاك" كان الاله الحامي لتلك المملكة البحرية والتي كانت واقعة ضمن النفوذ السياسى والتجارى لوادي الرافدين فى فترات طويلة من التاريخ القديم للمنظمة .

وجزيرة فيلكل (التى دعاها الاسكندر المقدونى - ايكاردس) التى يبعد عن النهاية الجنوبية لدلتا وادي الرافدين نحو ٢٢ كم .

كانت أول محطة بحرية تتوقف عندها السفن القادمة من اور وغيرها من أمهات مدن المسراف القديم في طريقها إلى بقية موانى مملكة دلمون ومكان (عمان) وحوض نهر السند وموانئ البحر الأحمر ، طولها اثنا عشر كيلو متراً وعرضها ستة كيله مترات وشكلها أقرب إلى المثلث .

وتوصف هذه الجزيرة كون تربتها خصبة ومياهاها عذبة وفيها موانىء تصلح لحماية المراكب عند هبوب الرياح والعواصف .

وبوقوعها على الطريق البحرى التجارى بين وادي الرافدين وموانىء الخليج العربى الأخرى فقد قامت فيها حضارة مزدهرة وحياة اقتصادية مترفة اعتماداً على الرسوم البحرية والتبادل التجارى . وفي اواسط الستينات من القرن العشرين قامت بعثة تنقيب دانمركية وبدعوة من حكومة الكويت للعمل فى عدد من تلول ومواقع فيلكا الأثرية ، التى كان سكنة الجزيرة ينبشون لأخذ ما تبطنه من حارة وطابوق لتشييد منازلهم .

وتضم الجزيرة عدداً من المواقع الاثرية وكانت قد ظهرت من جراء هذا العبث حجرة عليها كتابة يونانية تفيد بأن : المواطن الأثينى سوتيلس والجنود قد

قدموا هذا النصب إلي زوس سوتر (Zeus) المخلص وإلي بوزيدون (Poseiden).

وسرعان ما تبين لبعثة التنقيب العاملة في فيلكا بان الجزيرة تضم عدداً من التلول الاثرية يرجع زمن بعضها الي مطلع العصر البرونزي في بداية الألف الثالث قبل الميلاد ، إضافة الي مخلفات بنائية ولقي أثرية متعددة يعود زمنها الي عصر الاسكندر المقدوني .

وفي منطقة منخفضة قرب الساحل تقع بين مجموعة تلال سعد وسعيد ظهرت بقايا دار واسعة تحوي علي اثنتي عشرة غرفة تتوسطها ساحة المتبقي من جدرانها مشيد بطابوق مربع الشكل بمقياس ٣٠ × ٣٠ سم ، ومن النوع المعروف في مباني مدينة بابل في العراق .

وقد وجدت في بعض غرف هذه الدار قوالب من الطابوق لنصب التماثيل ، احداها يمثل وجه الاسكندر ، وتماثيل يونانية أخرى ، وكلها تشير الي التأثير الهلنسي الواضح في الجزيرة في العهد السلوقي (عهد خلفاء الاسكندر المقدوني في وادي الرافدين وبلاد الشام والخليج العربي) .

ومن بين ألرز اللقي الاثرية المكتشفة في جزيرة فيلكا والتي لها أهمية كبيرة في الدراسة المقارنة لحضارات الشرق القديم ، مجموعة كبيرة من الأختام المستديرة والمربعة في أحد وجهيها والتي أطلق عليها بعد ذلك تسمية الأختام الدلمونية .

فقد وجد منها خلال عمل البعثة الدانمركية في أواسط الستينات نحو من ٤٠٠ ختم ، وكان قد عثر علي هذا النوع من الأختام قبل ذلك في عدد من مدن بلاد

سومر البارزة ، وفي مواقع حوض وادي نهر السند ، كما اكتشف عدد منها في مواقع جزر البحرين .

ولكثر ما اكتشف من هذه الأختام في أرجاء الخليج العربي وفي بقايا مدن وجزر ملكة دلمون بالذات ، فقد أطلق الدارسون عليها اسم الأحكام الدلمونية ، باعتبار ان منشأها ومناطق استخدامها كان في أنحاء هذه المملكة البحرية بالذات.

وبسبب الأعداد الكبيرة التي وجدت في جزيرة فيلكا من هذه الأختام ، وبروز الطراز الفني المحلي فيها ، غضافة غلي التطور الظاهر في طريقة حفر صورها ورسومها بحيث تتحول الصور غلي خطوط مبسطة وقوية يؤكد بأن فيلكا كانت هي الموطن الذي نشأت فيه الأختام النادرة .

علماً بأنه قد عثر في جزيرة فيلكا علي أنواع أخرى من الأختام بينها المستديرة والأسطوانية والمربعة ، وموطن الأختام الأخيرة (المربعة) كما هو معروف في موطن الحضارة في وادي نهر السند إلا ان بعضها قد وجد في عدد من مدن بلاد سومر إضافة إلي تواجده في جزيرة فيلكا كما عرفت سابقاً ، وهذا دليل واضح علي الاتصال والعلاقات التي كانت سائدة ، خلال الألف الثالث قبل الميلاد بين مواطني الحضارة في هذه البقاع الجغرافية الثلاث وادي الرافدين ، والخليج العربي ، وحوض نهر السند شمال غربي القارة الهندية .

أما عن المواضيع المنفذة علي الأختام الدلمونية (المستديرة المدببة) فبالرغم من رتابتها واتزانها وطابعها الديني العقائدي ، غير أنها قد حفرت بطريقة زخرفية أبدع صانعها في تنفيذها ، ابتعد فيها مضمونها عن التقيد باتباع

أسلوب ثابت في التنفيذ كما هو الحال في غالبية أختام وادي الرافدين الأسطوانية بل صار يبتكر أسلوباً جديداً في كل ختم ينفذه .

وعمله هذا دفع بعض الدراسين إلى الاعتقاد بأن كل ختم من هذه الأختام الدلمونية ربما يمثل موضوعاً قائماً بحد ذاته بعيد الشبه عن مواضيع الأختام الأخرى .

وقد تكون هذه الأختام قد استعملت من قبل حاملها كتعويذة عقائدية ، أو قد تكون استعملت لأغراض ختم المعاملات والبضائع كما هو الحال في استعمالات أختام وادي الرافدين الأسطوانية التي تظهر عليها كني أو أسماء حاملها إضافة إلى رموز وصور الآلهة المختلفة التي كانوا يقدسونها ، بجانب مشاهد لحيوانات مفترسة أو أليفة وأخرى أسطورية مع رسوم هندسية ومشاهد من الحياة اليومية لأنسان ذاك الزمان والتي توثق حالات الشرب أو للصيد أو للزراعة .

تختلف الأختام الدلمونية في حجمها وأشكالها بعضها صغير لا يتجاوز قطرها ١,٥ سم ، وبعضها الآخر كبير قطرها حوالي ٣ سم . لقد استخدمت لعمل هذه الأختام مواداً وأحجاراً مختلفة منها ما عمل من حجارة هشة سهلة القطع مثل حجر الكلس والألباستر والحجر الصابوني والحجر الجيري ، ومنها ما صنع من حجارة صلبة قوية صعبة القطع مثل حجر لدايورايث والهيمايت (حجر الدم) وحجر الستيتايت .

كما استخدمت ادوات مختلفة لإنتاج هذه الأختام منها : الأزميل ، المزرف ، المقشط ، القرص الحاد ، الأنبوب ذو الطرف الحاد والمزرف ذو الطرف المحدب .

وأحياناً كان يسود استخدام آلة معينة في صنع هذه الأختام دون سواها مثل استخدام المزرف ذي الرأس المحدب حيث نجد النقوش المحفورة بواسطته تأخذ شكل انصاف كرات كما هو الحال في الأختام التي هي من مطلع العصر البرونزي (حدود ٣٠٠٠ قبل الميلاد) ، والذي يعاصره فترة " جمدة نصر " في وادي الرافدين ، والتي عرفت هي الأخرى بمثل هذا النوع من الحفر علي الأختام المستكشفة فيها .

وقد استخدم أحياناً اساليب القشط المسطح او القشط المائل في أختام الخليج العربي الدلمونية . ومن الجدير بالذكر انه لا تعرف لحد الان طبيعة الصور والرسوم والرموز علي هذه الأختام . إذ من المحتمل ، كما يعتقد البعض ان طريقة تنفيذها قد يعكس نموذجاً من كتابة صور رمزية لا تعرف ماهيتها لحد الان . وقد يتطلب التوصل الي فلك رموزها الكثيرة من الجهد والاجتهاد من قبل دارس اللغات القديمة وعلماءها ، علماً بأن صور البطل جلجامش قد وجدت محفورة علي عدد من أختام الخليج الدلمونية المستديرة ذات الوجهين أيضاً .

تقع جزر البحرين في منتصف المسافة بين رأس الخليج العربي في الشمال ، عند مصب شط العرب ، ونهايته الجنوبية عند مضيق هرمز .

وجزيرة البحرين الرئيسية صغيرة نسبياً يقع طرفها العريض في الشمال ، حيث تقوم معظم المدافن الصغيرة . وتضيق الجزيرة في طرفها الجنوبي الذي تغطية الرمال .

وفي منتصف الساحل الشمالي حيث العاصمة (المنامة) تقوم بقايا قلعة البحرين ممثلة بخندق كبير طوله ٤٥٠ متراً وعرضه ٢٠٠ متر وعلي قمته

تنهض بقايا القلعة التي شيدها البرتغاليون في حدود ١٥٢٢ م والتي تعرف بالقلعة البرتغالية، او قلعة البحرين ، يحيط بها خندق بعمق عشرة أمتار .

كشفت تنقيبات البعثة الدانمركية خلال الخمسينات من القرن العشرين ، عن بقايا لخمس طبقات ، او بقايا مدن متعابة ، أقدمها ، أي أسفلها يعود إلي مطلع الألف الثالث قبل الميلاد (أي بداية العصر البرونزي) ، وأحدثها اي أعلاها ، يرجع زمانه إلي الفترة الهلنستية (القرن الثالث قبل الميلاد) .

لقد شوهدت آثار حريق وتدمير بين بقايا الطبقة السفلي (الأولي) يظن أنه بفعل الحصار الأكدي لهذه المدينة في حدوده " ٢٣٠٠ قبل الميلاد " وأن معظم بقايا المدينة (الطبقة) السفلي يقوم بمحاذاة البحر حيث تظهر دور السكن الصغيرة المتواضعة وقد غطتها البقايا البنائية الفخكة لمدينة الطبقة التالية (الثانية) ، ومن بقايا مدينة الثانية أجزاء من سور ضخمة وفتحة لبوابة المدينة والتي يعود زمن تأسيس مدينة الطبقة الثانية في قلعة البحرين إلي حدود عام " ٢٣٠٠ قبل الميلاد " ، اي في أعقاب خراب مدينة الطبقة السفلي بأيدي الأكديين ، وقد استمرت مدينة الطبقة الثانية زمناً طويلاً يربو علي ٥٠٠ عام ، ومن المحتمل أن سكانها كانوا اصحاب آلاف المقابر المنتشرة في وسط الجزيرة ، وكذلك المسؤولون عن تشييد معبد (باربار) بأدواره الثلاثة ، وقد سمي المعبد هذا نسبة لأسم القرية المجاورة التي تدعي باربار .

ويشبه المعبد في تخطيطه البنائي عمارة وتخطيطاً المعابد السومرية في بلاد الرافدين التي يعود تاريخها إلى أواخر عصر فجر السلالات ، وقد أحيط بجدار ضخم بيضاوي الشكل ويقوم على مسطبة بيضوية الشكل أيضاً .

وبهذا فهو شديد الشبه بنظيره المعبد السومري في " تل خفاجي " في منطقة ديالى الواقعة وسط العراق . وعشر بين بقايا الطبقة الثانية هذه أيضاً على عدد من الأختام والأوزان جاءت على ما يظهر من مواقع حضارة وادي اسند في شمال غربي القارة الهندية ، شبيهة بتلك التي عثر عليها في عدد من المدن السومرية في جنوبي العراق .

وهذه إشارة واضحة على سعة التبادل التجارية لسكنة البحرين في هذه الفترة مع الشرق والشمال ، ومن المعتقد ان مدينة الطبقة الثانية في قلعة البحرين كانت إحدى أبرز مدن مملكة دلمون التي ورد ذكرها في نصوص الرافدين المسمارية في هذه الفترة بالذات .

وهذا ويرجع زمن مدينة الطبقة الثالثة في قلعة البحرين إلى حدود ١٧٠٠ – ١٢٠٠ قبل الميلاد ، حيث ان الكثير من فخاريات هذه الطبقة شبيهة بمثيلاتها من العصر الكشي في وادي الرافدين . وقد كشفت عن أجزاء واسعة من بقايا الطبقة الثالثة البنائية غلي الجنوب من القلعة البرتغالية مباشرة .

اما بقايا مدينة الطبقة الرابعة فإنها تعاصر في زمنها عصر الإمبراطورية الاشورية الحديثة في وادي الرافدين (٩١١ – ٦١٢ قبل الميلاد) ، فقد أشار عدد من الملوك الاشوريين في هذه الفترة الى علاقاتهم مع مملكة دلمون .

ومن الملاحظ ان بقايا مدينة الطبقة الخامسة أثارياً ضئيلة بخلاف عدد من دور السكني . وقد كان تأسيس هذه المدينة في عصر الاسكندر المقدوني وخلفاءه من السلوقيين .

وقد تم الكشف عن مجاميع من فخاريات ودمي الطين اليونانية تشير بوضوح الي علاقات تجارية مع السلوقيين في وادي الرافدين وبلاد الشام (إبان سيطرتهم علي هذه البلاد) .

وقد وجد في البحرين ما يقرب من مائة ألف قبر تحتل مساحة قدرها عشرون ميلاً من الطرق الشمالي من اكبر جزر البحرين ، مكونة بذلك أضخم مقبرة عرفها العالم القديم .

وتغطي أرض المقبرة الواسعة المنطقة الممتدة بين قرية عالي وطريق الهمة مارة بالساتين المحيطة بقرية دستان وكرز كان والمالكية .

وقد جرت أول محاولة للتنقيب في تلؤل المقابر هذه الأعوام ١٩٠٦ – ١٩٠٨ فقد قام خلال هذه الفترة المعتمد البريطاني في البحرين الميجور " بريدوكس " بالكشف عن تلال من تلال المقابر الصغيرة .

كما قام بعده ، في عام ١٩٢٤ ، الأثاري المعروف " أرتست مكاي " بالجغرافي تل آخر من تلؤل المقابر ، ثم اعقبه " بيتر كورنول " بأعمال مماثلة نشر نتائجها في عامي ١٩٤٠ – ١٩٤٣ . تلتها البعثة الدانمركية ، خلال الخمسينات ، حيث قامت بفحص أكثر من خمسين تلاً من هذه المقابر في عدد من مواسمها التي أنجزتها في البحرين .

يرجع زمن مقابر البحرين في الغالب غلي مطلع العصر البرونزي في بدايه الألف الثالثة قبل الميلاد ، وقد أبانت الحفريات التي اجريت في عدد كبير منها بأن معظمها قد نبش وعث به من قبل لصوص الآثار خلال حقبة مختلفة ، وأن مجاميع كبيرة من محتوياتها قد سرق وتسرب إلى الخارج ليستقر في كثير من المتاحف العالمية .

ومدافن البحرين هذه علي نوعين : القبر او المدفن المفرد (أي قبر بغرفة واحدة) Single – Chamber Tomb ، والمدافن المزدوج (أي قبر ذي غرفتين) Chamber Tomb Double - والنوع الأول أي المدفن المفرد بعد النموذج الشائع لقبور العصر البرونزي .

يتألف هذا المدفن من غرفة دفن واحدة اتجاهها من الشرق إلى الغرب ، مدخلها يقع في الطريق الغربي والذي بجدارين بارزين بعض الشيء عن الضلع الكائنة فيه .

تغطي غرفة الدفن عادة قطع حجرية كبيرة مكونة بذلك سقف المدفن وجدران المدفن تشيد بعدد من قطع الحجر ترصف بجانب بعضها بدون ملاط . وأن أرضية المدفن تكون عادة حجرية أيضاً إلا انها تغطي بطبقة من الرمل عند الشروع بدفن المتوفي .

والمتوفي عادة ما يوضع في القبر علي جنبه الأيمن وركبته مثنيتان وقدماه باتجاه مدخل القبر ، واليدين مشبكتان علي الصدر بوضع يجعلهما متجهين الي الوجه .

أما عن أبرز أثار الدفن والتي وجدت في قبور هذا النوع فتتكون من جرار فخارية كمثرية الشكل في الغالب وعنق طويل تزين أجسامها حوز دائرية غائرة . والجرار هذه عادة معمولة بدولاب الفخاري ، من طينة حمراء وأحجامها مختلفة ، يتراوح ارتفاع بعضها من ٦ - ١٠ أنجات .

وبعض الجرار الصغيرة الحجم تكون كروية الشكل ، تغطي أجسامها قشرة حمراء ، توضع عادة مع المتوفى في هذا القبر طعاماً لرحلته غلي العالم الآخر مؤلف من لحوم حيوانات اليفة كالغزال ، والخراف ، وأحياناً الجمال ، تكون مطبوخة عادة . وهو تقليد اعتادت عليه حضارة الشرق القديم (المصرية والعراقية) .

وقد اكتشفت أيضاً في عدد من المدافن هياكل عظمية لكلاب وضعت عند قدمي موتي أصحابها ، وفي بعضها الآخر أكوام من التمر . كما عثر في قسم منها علي كميات من قشور بيض النعام وقد صبغت باللون الأحمر الفاتح وعلي الأرجح ان هذه الأكواب كانت تستخدم او تعوض عن اكواب الشرب للموتي .

وقد وجد ان بعض مدافن الرجال كانت تزود عادة بأسلحة المتوفى من سيوف ورؤوس حراب وخناجر ، وكانت عادة أما تغمد في جدران المدفن او تطرح علي الأرض بجانب المتوفى

أما النوع الثاني من المدافن ، أي المدفن المزدوج ، فغنها تكتشف عادة في التلال الكبيرة والمرتفعة ، وخاصة في القسم الشمالي الغربي من البحرين علي مقبرة من قري " الجنينة " و " القرية " و " سار " يتألف المدفن المزدوج عادة من غرفتين ، أحدهما فوق الأخرى

يبلغ قطر هذا النوع من المدافن في الغالب ٢٠ متراً وارتفاعه ٤,٦ المتر، ويكون عادة محاط بدائرة من الحجارة الضخمة. تفرش أرضية غرفة المدفن السفلي بالحجارة والتربة العذراء ، وفي جدارها الأيمن (بالنسبة للمدخل) فتحتان ، تخلو منهما جدران الغرفة العالية، تغطي أرضية غرفة المدفن العليا بقطع من الحصى وتربة رملية نقية .

إن هذه الطريقة في بناء القبر وإعداده للموتي من أبناءهم تشير بالطبع إلى رغبة القوم بأسجاء موتاهم على أرض نقية وتربة عذراء تبعاً لمعتقداتهم آنذاك بالخلق والحياة والعودة بعد الوفاة إلى التربة النقية التي خلقوا منها وقد تعرضت المدافن المزدوجة أكثر من غيرها إلى النباش والسن حتي أن المنقبين لم يجدوا فيها أي مقتنيات (جنائزية) وفي بعضها وجدت بقايا جثث الموتى وهياكلهم العظمية وقد بعثرت في أرجاء غرفة الدفن نتيجة لهذا العبث من قبل اللصوص .

مدافن (عالي) العملاقة ginnt- Tomulatali

وهذه المدافن تحيط بقرية " عالي " وهي من أكبر وأضخم مدافن البحرين تبلغ الضخمة فيها طول اشجار النخيل في المنطقة وقد يبلغ ارتفاع احداها أكثر من ٢٥ متراً ، بينما يزيد ارتفاع تسعة منها علي ٢٠ متراً ، ويبلغ ارتفاع خمسة أخرى أكثر من ١٥ متر ، وهذه قياسات وضعها المنقب أرنست مكاي في حينه . يتألف المدفن العملاق من غرفتين إحداها فوق الاخرى ، وتشكل الحجرة منهما مستطيلاً باتجاه شرق - غرب ، وفي الغالب تحوي زاويتي الغرفة الشرقيتان علي حنايا، كما توجد مثال هذه الحنايا في الزاويتين الغربيتين لغرفة الدفن أحياناً .

ومدافن "عالي" العملاقة مشيدة عادة بالحجارة وجدرانها الداخلية مغطاة بالملاط ، وسقوفها من حجارة ضخمة من الكلس عادة . ومدخل المدفن تكون فتحته في اسفل الجدار الغربي، تغلف بإحكام بعد الانتهاء من مراسيم الدفن بواسطة الأحجار والرمال، منعاً من فتح القبر والبحث بمحتوياته .

إلا ان معظم هذه القبور العملاقة وجدت منهوبة عند التنقيب فيها ، وقد عبث حتي بجثث وبقايا الموتى بحيث بات يصعب علي المنقبين التعرف علي طرق الدفن ووضعيه الموتى في القبور عند دفنهم . إلا أن العثور علي قليل من هدايا الدفن في الغرف العليا للقبور كأواني الفخار ولقى من العاج وبعض بقايا هياكل الحيوانات ، بينما كانت البقايا العظمية المبعثرة للموتى في الغرف السفلي وقد لاحظت فرق التنقيب ان جثث الموتى كانت تدفن في غرف المقابر السفلي ، بينما هدايا الدفن وحاجات المتوفي توضع في الغرف العليا منها .

كان أول من بدأ بالتحري في قبور عالي العملاقة من المنقبين الكابتن "ديورانـد"، مساعد المقيم البريطاني في البحرين عام ١٨٧٩ م ، وقد أنجز في حينه مسح وتنقيب واحد مئها لحساب حكومة الهند آنذاك ، ومع أن المدفن الذي حفر فيه " ديورانـد " كان أضخم المدافن وأعلاها إلا أنه وجدته خالياً تماماً .

وقد أعقب الكابتن ديورانـد في البحث في قبور البحرين العملاقة هذه المنقب " بينيت " وزوجته في عام ١٨٨٩ م ففتح مدفين ، وجد في إحداهما بقايا بشرية وبعض اللقي الأثرية ، إذ عثر في الغرفة العليا من هذا المدفن علي تمثال صغير من العاج ، وساق ثور من العاج أيضاً ، مع صناديق صغيرة من العاج ، كما

عثر في غرفة المدفن السفلى بصحبة البقايا البشرية علي بعض بقايا من ملابس متربة

وفي سنة ١٩٠٣ قام البلجيكي " جوانين " بمحاولة فتح مدفن آخر من المدافن العميقة إلا أنه وجده خالياً من أي بقايا . هذا وأن أبرز أعمال التنقيب في هذه المدافن تمت من قبل " الديجر بريدوكس " عام ١٩٠٦ ، والذي فتح تسعة من هذه المدافن ورسم مخططاتها موضعاً طريقة تشييدها وهندستها ، إلا أنه لم يعثر فيها علي بقايا أو لقي هامة ما عدا ساق لثور من العاج يعتبر في واحد منها، آخر علي (خاتم) من الذهب .

وبالرغم من ذلك فإن الدراسة الوافية التي وضعها " بريدوكس " عن مقابر "عالي العملاقة " بقيت مرجعاً مفيداً للدارسين لهذا النوع من ملاحظات ميدانيه وخرائط ومخططات مدعومة بالأرقام والقياسات لهذه المقابر .

أعقب " بريدوكس " في العمل في مقابر عالي أيضاً الاثاري أرنست مكاي ، في السنوات ١٩٢٤ - ١٩٢٥ فقد نقب في عدد واسع منها ، بعضها كان من المدافن المزدوجة ، وقد اكتشف أعداداً من اللقي الاثرية بينها صناديق مهشمة من العاج، وتمثال فاقد الرأس من العاج أيضاً ، ورؤوس حراب من البرونز، ومجاميع من الأواني الفخارية ، وأعداد كبيرة من بيض النعام .

وقامت بعد ذلك خلال الخمسينيات والستينيات، بعثة دانمركية بالدخول إلي أحد المدافن العملاقة، حيث وجدت داخلة نفقين كان اللصوص قد حفروهما المنفذ إلي باطن المدفن وقد عثر في أحد النفقين علي أهلي فخارية كانت اللصوص قد

ألقوا بها في طريق خروجهم من القبر ولم تتمكن هذه البعثة من الوصول الي باطن المدفن بسبب أنهيار سقفه اثناء عمليات التنقيب .

ثم قامت البعثة الدانمركية بعد ذلك بالدخول الي مجموعة كبيرة من مدافن " عالي " والتي بلغ عددها ٤٢ مدفنًا ومع أنهم وجدوها قد نبشت قبلهم من قبل لصوص الآثار إلا أنهم استطاعوا العثور علي مجاميع مختلفة وكبيرة من اللقي الاثرية بينها اواني من حجر مرمر شمعي ، وهياكل عظمية لكلاب ، وأقداح من بيض النعام ، ورؤوس صواب من البرونز ، ومجاميع من الاواني الفخارية شبيهة لما وجدنا منها في معبد باربار ، وحلي ذهبية حلزونية الشكل ، وأختام معمولة من محار بحري .

نتيجة للدراسات المقارنة التي أجراها الباحثون علي لقي وموجودات مدافن عالي العملاقة تبين انها ترجع بتاريخها الي النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، وقرب قرية الحجر في البحرين كشفت تنقيبات دائرة الآثار البحرينية في مطلع السبعينات، عن عدد من المقابر الجماعية تعقب في أزمانها مقابر " عالي " ويضم القبر الواحد منها قبور الحجر هذه عدد من غرف الدفن تتصل ببعضها بممرات ومداخل وبسلام من الحجر تسهل الدخول والخروج منها عند الحاجة .

ومن الملاحظ ان عدداً كبيراً من قبور الحجر قد أعيد الدفن فيه لمرات عديدة وفي عصور متعاقبة . وجدت دائرة الآثار البحرينية العدد من اللقي الاثرية في مدافن الحجرة هذه هي من الأهمية بمكان بسبب مشابهتها لمثيلاتها في حضارة

وادي الرافدين من فترة العصر البابلي القديم في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ،
كالأختام الأسطوانية ، والأواني الفخارية .

ومنها اواني حجرية ، من حجر السيتيتايت ، مشابهة لما يعاصرها من الفترة
الأشورية الحديثة في مطلع الألف الاول قبل الميلاد ، ومن ما يشبه مثيلاتها من
العصر البابلي الحديث في وادي الرافدين وجدت بعض مقابر الحجر مجاميع
من الأواني الفخارية ، وأختام اسطوانية وسيف من الحديد .

وقبور أخرى من مدافن الحجر ضمت زجاجة جميلة من العصر السلوقي
في مطلع المائة الثالثة قبل الميلاد ، كما وجد في بعضها الآخر فخاريات وأختام
مستديرة دلمونية .

وفي أواخر الخمسينات أظهرت التنقيبات في واحة " البريمي " وفي جزيرة
صغيرة قرب الساحل العماني مجموعة من المدافن ذات الحجوم الكبيرة ، شيدت
بجدران دائرية عالية من حجارة ضخمة نحتت لتلائم الشكل الدائري .

وباطن المدفن مقسم إلى اربع حجرات بجدارين متعامدين يتصلان من
الأعلى بسقف المدفن المعقود ، ومدخل المدفن صغير جداً نسبة إلى حجمه .
يحتوي المدفن الواحد من مدافن عمان هذه أكثر من خمسين هيكلًا عظيمًا ، دفنت
بغير نظام معين ، تنتشر بين بقايا الموتى آلاف الخزف ، واعداد كبيرة من
الأواني الفخارية الملونة والمعمولة بعناية .

ومع ان فخاريات مدافن عمان هذه كثيرة الشبه بفخاريات حضارة دلمون في
البحرين ، إلا ان لها ملامح بارزة من فخاريات حضارة (كولي) التي
سبقت حضارة وادي نهر السند في الزمن ، من مطلع الألف الثالث قبل الميلاد .

وهذا الامر يشير بدون شك إلى الاتصال الحضاري والاقتصادي بين مواطن الحضارة الاولى في اسفل الخليج العربي وبين معاصريها في حوض وادي نهر السند في الطرف الشمالي الغربي من القارة الهندية بداية الالف الثالث قبل الميلاد ، أيام ازدهار حضارة السومريين إلى الشمال في وادي الرافدين وحضارة " دلمون " علي السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية .

حيث كان السومريون يطلقون ، كما رأينا في موضع سابق من هذا الفصل ، أسماء " دلمون ومكان وملوخا " علي اماكن الجغرافية التي تلي بلادهم من الجنوب والشرق ، أي علي الضفاف الغربية للخليج العربي وحوض نهر السند والتي كانوا علي صلات تجارية وحضارية وثيقة معهم .

في إمارة أبو ظبي، في دولة الإمارات العربية المتحدة ، وفي موقع هيلي وجزيرة ام النار بالذات كشف عن عدد من القبور الجماعية المشيدة بالحجارة المهندمة . وقد يضم القبر الواحد حجر دفن او اكثر ، وأن شكل المدفن عادة دائري يتراوح فقط بين ١٢ - ١.٥ متر ، وارتفاع حجرة الدفن قد تزيد عن المتر الواحد أحياناً .

أن التنقيب في قبور " هيلي " و " أم النار " اظهر الكثير من المجاميع الفخارية والقلائد من خرز منوع وأسلحة من البرونز يرجع زمنها الي ، اسط الألف الثالث قبل الميلاد.

اقتصاديات الخليج العربي في العصور القديمة

من بين النتائج المهمة للنشاط الاثاري والبحث والتنقيب في مواطن الحضارة في ارجاء الخليج العربي التعرف علي تفاصيل الحياة اليومية لسكانه القدماء ومقومات هذه الحياة ونشاطاتهم الاقتصادية وصلاتهم بالخارج .

لقد ساهمت النصوص المسمارية المكتشفة في حضارة وادي الرافدين وفي مختلف عصوره التاريخية ، في الكشف عن الكثير من هذه النشاطات الاقتصادية وخاصة التجارية منها .

ويفضل الجهود الكبيرة لعلماء الآثار والحضارة واللغات القديمة واستقراءاتهم وتفسيراتهم للأدلة والنصوص المكتشفة في مواطن الحضارة في أرض الخليج وعلي امتداد سواحله الغربية والجزر المحاذية لهذه السواحل ، وفي أمهات الحواضر القديمة في دلتا وادي الرافدين إلي الشمال ، بات التعرف علي أركان أساسية من حياة سكنة الطرق والخليج العربي الاقتصادية ميسوراً في ميادين التجارة والزراعة والصيد البحري .

والتجارة بصورة عامة في العصور القديمة بدأت بالمقايضة ، سلعة مقابل سلعة ، والتجارة سبقت ظهور التاجر فلم يكن ضرورياً ان يكرس الناس كل نشاطهم لإجراء المقايضة ، لأنهم اكتفوا لحقبة طويلة بمبادلة ما يملكون بكثرة مقابل ما كانوا بحاجة اليه دونما وساطة التاجر.

وقد سبق ظهور التاجر الكبير ظهور التاجر الصغير الذي كان يقتصر عمله علي توزيع البضائع . وقد مهدت بعض المواد التي يبحث عنها سكان العراق

والخليج العربي القديمة كالحبوب والجلود والمنسوجات وبعض الألبسة الجاهزة والزيوت والصوف والخمور قيام تجارة خارجية هامة مع وادي الرافدين الذي كان يستورد بدلها عن طريق " دلمون " النحاس والأخشاب والأحجار بما فيها بعض أنواع الأحجار الكريمة كاللازورد والعقيق والفضة والذهب .

وبعض الصناعات العاجية واللؤلؤ والتمور والمواد العطرية فالنحاس كان يصهر في مجموعة من القرى المنتشرة علي السفوح الغربية للسلاسل الجبلية في عمان (القديمة)، والتي تؤرخ في حدود الألف الثالث قبل الميلاد .

والذهب والأحجار الكريمة ومنها العقيق، وبعض انواع الطيب كانت من نتاجات الارض العربية، والأخشاب وبعض الاحجار الكريمة كاللازورد والعاج فإن مصدرها حوض وادي السند ، في شمال غربي القارة الهندية (اقليم ملوखा) موطن حضاراتي " موموهنجادارو وخرابا " المعاصرتين لحضارة السومريين والأراميين (البابليين) في وادي الرافدين في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد .

ومنذ الألف الثاني (قبل الميلاد وخلال العصر البابلي القديم جاءتنا نصوص مدونة بالخط المسماري تشير إلي أن تجاراً عراقيين كانوا يذهبون إلي دلمون (البحرين) لأغراض التجارة ويمكنثون هناك زمناً ثم يعودون محملين بعيون الأسماك (اللؤلؤ) ، كما تشير الي ان تجاراً من "دلمون "ياتون إلي " اور " وبابل وعدد آخر من حواضر العراق القديم لممارسة اعمالاً تجارية .

وأن هناك نصاً من نفس الفترة الزمنية يحكي أن " دلمون " كانت تستورد الصوف والحنطة والسمن من وادي الرافدين ولدينا نصاف آخران وجدنا في مدينة " نفر يشيران إلي أن دلمون كانت تصدر التمور إلى بابل .

وقبل ذلك بقليل ، في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد ، يشير الأمير " كوديا " حاكم لكش بأنه كان يحصل على الخشب والمرمر والبرونز والذهب من مناطق دلمون (البحرين) وسكان (عمان) لتشيد المعابد وصنع التماثيل له ولالهته .

وهناك أيضاً نصاً مسمارياً في مدينة " أور " يشير إلى تنظيم قرض قيمته خمسة شيقل (٨,٤ لتر) من الفضة لتاجر عراقي في دلمون ثمناً لشراء عيون السمك اللؤلؤ وبضائع أخرى .

وهناك نصاً آخر من " أور " أيضاً يتحدث عن رجل يدعي لو - أنيلا استلم بضائع من معبد تنار (غله القمر) في أور قيمتها ستون " ثالثت " من الصوف (الثالثت يعادل ٣,٣ كغم) وسبعون ثوباً ومائة وثمانية قطعة جلدية وستة " كور " من زيت السمن (الكور يعادل ٢٥٢,٦ لتر) دفعت جميعها ثمناً لصفقة نحاس من دلمون .

تشترك اقطار الخليج العربي مع بقية مناطق شبه الجزيرة العربية في تعرضها للجفاف ونقص في مصادر المياه العذبة التي تعد من أهم مقومات الحياة الأساسية ، لذا يتركز الاستيطان في بقاع تتوفر فيها المياه كالمناطق الجبلية وسفوحها والواحات والعيون ، لأنها توفر مستلزمات البقايا والنماء والتطور .

وتوارث العرب خبرات الأعمال الأورائية ومعرفة مواطن المياه الجوفية وكان مهندسو الارواء العرب الذين يعرفون باسم " القناقن " يتميزون بمهارة شديدة في معرفة مواطن المياه الجوفية وكمياتها وبعدها عن سطح الأرض .

وتناقلت الأخبار براعة العرب في الوصول الي المياه الجوفية ومعرفة أماكنها وقد أحيطت هذه الاخبار ، او بعضها ، بهالة من الخيال نجدها لدي (هيرودتس) حيث يقول عن العرب بأنهم كانوا ينقلون المياه من نهر عظيم في جزيرة العرب في أنابيب من الجلود وتسير هذه المياه لبضعة أميال لتصل اباراً تخزن فيها ولا يعرف مواضع هذه الابار في بلاد العرب سوى ابنائها .

ومن انظمة الري البارعة لدى العرب قديماً وحتى الان والتي تعرف بأسماء مختلفة ، باختلاف الأمكنة ، فهي في الخليج العربي تدعي (الأفلاج) وفي العراق (بالكهاريز) والفجارة في أقطار المغرب الغربي ، والقناة في إيران وطريقة استخدامها تدل علي اصولها العربية .

لقد قدر بعض الباحثين أن المساحات المزروعة في منطقة سمار علي خليج عمان وعدد سكانها كان يفوق كثيراً واقعه الحالي ، وذلك اعتماداً علي مئات من قنوات الري (الافلاج) المدرسة ، حيث بقي عدد قليل منها يعمل بشكل طبيعي ليمنح سكنه صحار الحياة والرخاء .

وقد اكتشفت البعثة الدانمركية العاملة في التنقيب في البحرين بقايا لقناة حجرية كانت تنقل المياه من وسط هضبة البحرين حيث تتدف مياه العيون الي أطرافها المنخفضة عن مستوي الهضبة حيث قامت بساتين النخيل والمزروعات وكانت قد توقفت عن التدفق فيها بسبب الإهمال وتراكم الغرين والحجارة .

إن بقايا المدن والمستوطنات في بقاع مختلفة من أرض الخليج يشير الي توفر أسباب الحياة فيها في زمن قيامها وسكانها وإن هجرانها وتحولها الي اطلال كان بسبب توقف العناية بموارد المياه فيها وتقصير الإنسان بإدامتها .

فمدن "التاج" و "الجرهاء" كانت عامرة بالحياة مزدهمة بسكانها غنية بثرائها وتجاريتها غلا انها هجرت وصارت قفراً يابساً لحرمانها من مستلزمات الحياة الأساسية من ماء وزرع .

إن زراعة النخيل في انحاء الجزيرة العربية وعلی سواحل الخليج العربي بالذات كان ، ولا تزال ، هي الزراعة الغالبة حتي قيل أن النخيل في بلاد العرب خبز البلاد ومادة الحياة وعماد التجارة فيها .

ولا يزال يستخدم في بعض انحاء الجزيرة العربية مقياساً للقيم والأسعار . ففي منطقة " الأحساء " التي تشمل منطقة القطيف التي تقع علي ساحل الخليج العربي والتي تصل بها عدد من القرى تنتشر بساتين النخيل التي ترويهها الابار والعيون التي تكثر في المنطقة وكذلك منطقة " الهفوف " التي تنتشر فيها بساتين النخيل بشكل ملفت للنظر .

وفي واحة "جبرين" الكائنة الي جنوب من الصفوف ينمو النخيل بشكل طبيعي دون تدخل الإنسان. وابرز المزروعات البحرينية ومنذ القدم هي النخيل حيث لا زالت تمتد خلف المنامة بساتين النخيل في خط طويل .

وقد كان لتمر دلمون (البحرين) قديماً من صادراتها المهمة حتي انه كان مطلوباً في وادي الرافدين بلد النخيل نفسه ، وهناك اعتقاد بأن لإله

(أنراك) غله دلمون، وأحد أبرز الهة الخليج العربي كله ، كان في بعض صفاته إلهاً للنخيل .

وتعد عمان (مكان) بoudianها المنخفضة الوفيرة المياه ومناخها الحار الرطب من البقاع المفضلة لزراعة النخيل بالإضافة الي رأس الخيمة وابو ظبي وفي قطر التي تكثر فيها الابار تزدهر زراعة النخيل ايضاً .

تؤكد الأدلة الاثرية أن صيد البحر كان إحدى الركائز اساسية في اقتصاد اقطار الخليج العربي في عصورها القديمة. ولتهيئ الظروف والخصائص المشجعة لركوب البحر في منطقة الخليج العربي فقد مارس العديد من السكان نشاطات صيد مختلفة، منها صيد اللؤلؤ، والأسماك والاصداف والقواقع البحرية. استطاع الاثاريون من الوقوف علي عدد كبير من مستوطنات ومقار إنسان العصر الحجري القديم المتأخر، وفي حدود (٤٠٠٠٠) سنة قبل الان، منتشرة علي طول سواحل شبه جزيرة قطر كان مرتادوها قد مارسوا صيد ما توفره مياه البحر من اسماك ولؤلؤ واصداف ونتاجات اخرى تفيض بها مياه الخليج العربي .

كما ميز الاثاريون اعداداً أخرى من مقابر العصر الحجري الحديث منتشرة علي طول ساحل الخليج العربي في المنطقة المحصورة بين الكويت شمالاً وشبه جزيرة قطر جنوباً والتي كانت تحوي لقي والات صيد من الحجر بشكل مجاميع من رؤوس سهام مجنحة ورأس مدبب استخدمت قديماً للصيد البحري.

وتدلنا النصوص المسمارية ان اللؤلؤ كان مادة هامة من مواد التجارة والخارجية بين مواطني حضارة الخليج وبين مدن وادي الرافدين علي مر العصور.

وفي ملحمة جلجامش مقاطع تشير الي معرفة قدماء العراقيين واطلاعهم علي اسرار صيد البحر والغوص في اعماقه ربما وصلتهم عن طريق اسلافهم من سكرة دلمون وأرض الخليج وشواطئه الغبية . وهذا ما اكدته بعثة الآثار الفرنسية التي نقت في موقع (هيلي) وفي البحرين والذي اكتشفت منه ادلة اثارية تؤكد معرفة الناس بصيد البحر .

فهذا اوتو نايشتم الناجي الوحيد من كارثة الطوفان حين يجد جلجامش فيسألة عن سر الخلود فيجيية من أنه هناك نبات مثل الشوك ينبت في اعماق البحر إنه كالورد اتركه يخز يدك حتي يفصل الورد فإنه فإذا ما حصلت يداك علي هذا النبات وجدت الحياة الكبيرة وحصلت علي الخلود الذي تريد وما ان سمع جلجامش هذا القول حتي فتح المجري الذي اوصله الي المياه العميقة وربط برجلية احجاراً ثقيلة ونزل الي اعماق المياه حيث ابصر النبات فأخذ النبات الذي وخز يديه وقطع الحجارة الثقيلة من رجليه فخرج من الاعماق الي الشاطئ .

العلاقة بين دلمون والمدن العراقية الجنوبية

وكانت السفرة الواحدة أور في (مدينة الناصرية) دلمون تشنفرذ ثلاثه ايام والسفره لابد إنها كانت خطرته حيث الرياح المصحوبة بالمطر والقراصنة في عرض البحر ... وقد عاشت خلال هذه الفترة في أور جماعة من تجار دلمون وابد وأنه قد عاش انذاك في جزيرة (فيلكه بالكويت) مستوطنين دلمونيين حيث كانت سفن اكبر تمخر من دلمون الي مكان وملوخوا .

ورجال دلمون لابد وأن كانوا بحارة في الدرجة الأولى ولون الجزيرة كثيرة الماء وخصبة وقشورة بالثمر واللؤلؤ⁽¹⁾.

وتبين من قوائم المواد المستوردة والمصدرة في عمليات التجارة بين العراقيين ان نوعاً من التكامل الاقتصادي قد نشأ بين العراقيين تبرره حالة النشاط التجاري الواسعة ويتوجب علينا الإشارة هنا إلي أن النشاطات التجارية لا ينظر لها من خلال موادها وأرباحها وفوائدها المادية المباشرة ، وإنما الأهم من ذلك فيما تتركه النشاطات التجارية الواسعة والمستمرة بين أهم مركزين تجاريين ومن اثر كبير علي التطور ، وتتوافر الأدلة علي كون دلمون خرال فترة المدينة الثانية والثالثة ذات اهمية تجارية كبيرة وذات اتصال تجاري واسع مع كل من العراق ومكان ووادي السند . وربما كانت أهمية دلمون كنقطة لتزويد السفن بالماء العذب . ونعرف من نص يربع الي عصر سلالة اور الثالثة لابد انه يشير دون شك إلي علاقة ثابتة الأساس راسخة ترجع الي عصور أقدم وردنا نص عن تسلم معبد نينكال في أور منتجات ملوخوا وما كان دون شك عن طريق دلمون .

(1)Geoffrey Bibby , four Tharsand yearsqo (newyonk) 1963 P 94 – 47

لترسل اليك بلاد توكريش الذهب من مارالي، اللازورد لتجلب لك ملوखा
العقيق الثمين وخشب الميس شاكان وخشب البحر .

لتجلب اليك " ما كان " النحاس والديورايت وصخر الاوو وحجر شومان
لترسل اليك ارض البحر الابنوس .. زينة الملك

لترسل اليك زالمكار الصوف ، وخام الجيد

ان بيوت المدينة جيدة ،

ان بيوت دلمون جيدة (1)

ونعرف أن دلمون كانت قديماً هي الواسطة في تصدير النحاس الي العراق
ومن الجدير بالذكر أن دلمون كانت دون شك تستورد النحاس من مكان حيث
مصدر النحاس في جبال عمان . للتحري " وقد قدر أن تسعة عشر موقعاً علي
الأقل منها تحوي علي ألف طن من مخلفات النحاس في كل موقع " وفي بعض
محلات التعدين هناك مستقرات قديمة " ففي التعدين لا سيل هناك دليل عن
وجود مستقر عند المواقع. وهناك بقايا حقول قديمة ونظم أرواء وماء وافر . .
فالجماعة التي كانت تمارس التعدين لابد ان استقرت هناك . ففي موقع التعدين "
نييا " هناك الي جانب خرائب المستقرات هناك اقواس منحوتة من قبل اناس في
محلها وهذا نلاحظ في محل التعدين عن " لاسيل وطاوي ركه " ربما
للاشراف منها علي مواقع العمل الي جانب تقديمها ظلاً .

وقد ابتدأت وكانت العلاقة بين دلمون والمدن العراقية قوية وكانت السغرة
الواحدة في " أور " الي دلمون تستغرق ثلاثة أيام والسغرة لا بدوانها كانت

(1) Kramer , AN tiguity , vol . 146 (419 , 1963)

خطرة مصحوبة بالمطر وقراصنة البحر كما سنري ذلك في عصر لاحق وربما خلال هذه الفترة كانت عاشت في أور جماعة في بحار دلمون ولاية وان عاشت انذاك في عصور تاريخية قديمة وقد تشكل أولوية البحر او القطر البحري بثلاثة ملوك يحملون اسماء جزرية (سامية) وانتهت أيضاً باسماء ملوك يحملون أسماء جزرية . وربما تحملنا هذه الحقيقة علي الاستنتاج بأن العنصرين السومري والجزري مهمين جداً في التركيب السكاني والحضاري لبلاد أرض البحر . وأن هذا الامتزاج بين الحضارتين لابد وأن كانت ميزة بلاد أرض البحر خلال النصف الثاني من الألف الثاني ق.م علي الأقل " ومن المعقول الاقتراض بان العنصرين السومري والجزري وقد امتزجا في الفترة التي سبقت تكوين سلالة أرض البحر الاولى وفي الوقت الذي لا نعرف فيه شيئاً عن ديانة سكانية بلاد أرض البحر خلال فترة الملك سرجون الأكدي ولكن الأمر يختلف خلال عصر هذه السلالة . فاسم أول لهذه السلالة ايلوما معناه الاكديّة (ان الاله هو حقا اله) والتي قد تدل علي اقتناع بالرب الذي يعبدّه والتي تعيد الي ذاكرتنا الشهادة في الدين الاسلامي (لا اله الا الله) ، وقد اعتقد البعض بأن هذا الاسم يدل علي الأقل علي اتجاه نحو الوحدانية او الوحدانية التي تؤكد علي اله واحد دون انكار لبقية الارباب Henotheism في بداية الالف الثاني ق.م ⁽¹⁾ " وأن معني اسم ملك السلالة الثاني ايتتي – ايلي – نابي ومعناه في اللغة الاكديّة هو (مع الاله تسميتين) او (مع الاله اتكالي) " واسم الملك الرابع كان دامقي ايليشو ومعناه (ان ربه كريم) أو (أن الهه ودود) . فالأسماء الثلاثة للملوك تدل علي

(1) Dougherty , The sealand , op cit P 25 – 26

التأكيد علي رب عام ولا نعرف اسم هذا الرب الذي اكدته الأسماء الثلاثة هذه . ولكن اسماء الملوك الاخرين خالية من أية ارتباطات دينية . ونعود فنري اسم الملك الاخير (يا حميل) ومعناه في اللغة الأكديّة (الرب أيا يحفظ) " فاسم الرب العام الذي لاحظناه في اسماء ملوك الثلاثة الاوائل قد استعويض عنه الان باسم الرب ايا (انكي) ولا نعرف هل أن المقصود بالاله العام باسماء الملوك الثلاثة الاولى للسلالة كان الاله ايا . اضافة الي ان اسم مدينتهم الرئيسية كان مدينة او حصن أيا (دور ايا) " اضافة الي ان اسم احد ملوك السلالة بالسومرية يعني في اللغة الاكديّة (حازم ايا شار ماتي) ومعناه ابن الاله ايا ملك البلاد (١)

ولكن القضاء مع استقلالية " ارض البحر " واخضاعها الكلي والقضاء على شخصيتها المتميزة يسر بالامر الهين " فبعد حوالي الخمسة قرون الي نهاية سلالة ارض البحر الاولى ظهرت سلالة ارض البحر الثانية التي كان لها من القوة ما اجبر البابليين علي الاعتراف بها ولو ان سيادتها لم تبق مدة طويلة ، وقد ذهب البعض الي الاعتقاد باحتمال كون العنصر الجزري القوي الذي ظهر في نهاية فترة الاحتلال الكاشي للعراق الذي تمثل في اسماء الملوك الكاشيين الاخرين امثال كودر – انليل Kudur-Enlil وانليل – نادين – شومي – Enlil adin – Shumi واداد – شوم – ايددين iddin – Shum – Adad واداد شوم ناصر Adad – Shum – Nasir ومردوخ ابلا ايدينا Mardukh- Apal – iddina وأنليل نادين اخي Enlil – nadin – akhkhى قد دخل

(1) opcit P 11 – 27

الي الكاشين عن طريق بلاد ارض البحر ، ومعني هذا احتمال كون بلاد ارض البحر وقد ساعدت علي جلب تغيير رسي في السلطة الكاشية . واعتقدوا ايضاً بأن اللفظة كاردونياش التي شرحناها في اعلاه كان المقصود به في الاصل بلاد ارض البحر " واذا هذا الافتراض صحيحاً فيدل علي اعتبار الكاشين بلاد ارض البحر جزءاً مهماً جداً من ممتلكاتهم " وقاد هذا الرأي الي الاستنتاج بان الملوك الماشيين الاخرين كانوا في الواقع من سكان بلاد ارض البحر وليسوا بابليين " ومما يؤكد هذا الافتراض ان زعيم بلاد ارض البحر المشهور من نهاية العصر الاشوري مردوخ ابال ايددنيا (مردوخ بلادان) قد اتخذ اللقب مردوخ بلادان الثاني^(١) " ومهني هذا ان الزعيم الخليجي هذا قد عد الملك الكاشي مردوخ ابال ايددينا الذي يظهر في اثبات الملوك الكاشي هو الاول " ولو لم يكن الملك الكاشي مردوخ ابال ايددينا من منطقة الخليج العربي لما اعتبره مردوخ بلادان سابقة في الملك فسمي بالأول وحصل هو نفسه القب الثاني وبذلك قد يكون الاعتقاد بأن الملوك الكاشيين الاخيرين الذي ذكرنا اسماءهم اعلاه (ذوي الاسماء الجزرية) هم من اهالي ارض البحر معقولاً .

ويظهر ان العلاقات التجارية قد استمرت بين دلمون ومدن العراق ، ففي رسالة عثر عليها في مدينة نفر مؤرخة من السنة الخامسة من حكم الملك الكاشي برونابورياش الثاني (١٣٦٧ - ١٣٤٦ ق . م) أي سنة ١٣٦٢ ق . م تذكر وجود مسؤول كاشي ينوب عن السلطة يقطن في دلمون أن دلمون ترسل انواع التمر المشهورة فيها والتي نعرف عن الطلب الشديد لها في العراق . ومن

(1) Dougherty , These land P 27 - 29

الجدير بالذكر بأن الملك الأشوري توكولتي نينورتا الأول (١٢٤٤ - ١٢٠٧ ق.م) اتخذ الالقاب ملك دلمون وملوخاً وملك البحر السفلي الذي قصد به دون شك الخليج العربي وربما تسلم هذا الملك وفوداً من حكام هذه المناطق وكانت له علاقة قوية مهما والا فكيف نفسر اتخاذ الالقاب ؟

وآثاريا فان المدينة الثالثة في قلعة البحرين بالبحرين التي اظهرت فخاراً متميزاً اسماء المنقبون الدنمركيون أوعية الكاراميل (بلون السكر المحروق) يعود الي العصر الكاشي وارجعوه الي الفترة ١٧٥٠ - ١٢٠٠ ق . م (يشمل جزء ب فترة العصر البابلي القديم حتي نهاية عصر الاحتلال الكاشي). وقد عثر في المدينة التي تعود الي العصر الكاشي هذه في القلعة علي قصر ظهر انه كان واسماً جداً وقد وجدت فيه بوابتان " وبه قسمان من الغرف يفصلهما عن بعضهما جدار " وكل قسم من اقسام القصر واسع وتطل بوابتها علي الشارع " وبناء القصرين علي دلجة من الفخامة " والي جانب قاعة المدخل في القسم الاول هناك مصلي فيه مذبح علي يمين المدخل الرئيس وهي تماثل موقع هذه المذابح في البيوت التي تم العثور عليها في موقع بجنوب المراق من حوالي سنة ١٨٠٠ ق . م وفي القصر المجاور غرفة كبيرة بابماد اعتيادية وبوابات مزدوجة عند كل نهاية وفي وسط كل جانب وقد اطلق المنقبون عليها غرفة العرض وفيها مصلي " وفي كل بيت ثلاثة مرافق " وهذه البناية اما أن تكون قصراً لحاكم او بيتاً لرجل ثري وجيه معروف آنذاك ، والبيتين كما ذكرنا يرجعان الي العصر الكاشي " ووجد زقاق ضيق بين البنايتين وعثر علي اجزاء مغطاة بالصخر خارج هاتين البنايتين " وان البالوعات بالواقع هي اكثر قدما من العصر

الكاشي. وأن البناية الكاشية الجنوبية تتألف من ساحة مركزية متجهة من الشرق الي الغرب ربما كانت مسقفة مع غرف علي جوانبها وجميعها وجدت محروقة " وعثر فيها علي بقايا برونز وكسرات فخارية - وتحت أرضية القصر وجد وعاء فخاري عثر فيه علي كمية من الفضة وبقايا قماش منسوج " والفضة عبارة عن قطع مذابة واجزاءها من اساور وعدد من الاقارض والخواتم " والكنز كما يظهر هو دفينة صائغ فضة مدفونة في البناية الكاشية ومن الصعب معرفة ان كان معاصراً للقصر وربما دفن متأخراً " والي شمال ساحة البناية الكاشية بنايتين حفرت واحدة منها بصورة كاملة واخري جزئياً⁽¹⁾. والغرفة الي اقصي الغرب من هذه الغرف . وفي الغرفة المركزية هناك طبقة محروقة الارضية تتألف من كسرات فخار محروق ونوي تمر " وهناك فوق الطبقة المحروقة شضية من رقيم مسماري ورأس سهم برونزي وظهر أن السور قد شيد خلال عصر باربار واعيد بناؤه في العصر الكاشي حيث تم تعريض السور بتشيد حاجز الداخلي من السياج . ويستمر السور جنوباً في خط مستقيم لمسافة مائة متر علي الاقل . ويصل في النهاية هذه الي بوابة صغيرة في السور . وعرض البوابة عند مستوي الحاجز ١,٧٥ متراً و ٢,٦٠ متراً فوق قاعدة السور . وقوي السور هنا الجزء المحصن الذي يبرز حوالي ٧٥ سم . وهذا يقترح احتمال وجود خندق خارج السور فوقه بعض القطع الخشبية للعبور . كما تم الحفر في سلسلة الغرف بالبناية المرتبطة بالقصر . واكبر غرفة طولها عشرة

(1) D auqhenty : opict P 29

امتار عرضها ٤,٥ متر علي جدار (هناك بابان متقابلان)^(١). وهناك بوابات اخري في نهاية جدران هذه الغرفة وبقايا موقد علي كل نهاية. وعثر علي غرفتين اخريين في البناية الكاشية ذات جدران تصل في السمك المتر الواحد. وعثر هنا علي آثار حريق هائل حيث عثر في الطبقة علي بقايا حرق خشب وحصران محروقة مصنوعة من سعف النخيل المظفور ربما سقطت من السقف المحروق^(٢).

وعثر تحت ارضية القصر الشرقي علي جدران ضخمة سمكها ياردة واحدة ظهر أنها بناية مستطيلة كبيرة فيها ساحة مركزية ضيقة مع صف من الغرف المربعة الصغيرة علي كل جانب. وليس في هذه البناية أية مزارات أو غرف عرش أو مرافق بل هناك سلسلة من الغرف المشيدة علي خط واحد تفتح من القاعة المركزية او الساحة. ومن الجدير بالذكر ان البناية من العصر الكاشي هذه قد انتهت حرقاً حيث يمكن رؤية آثار الحرق علي اسوار الجدران الي حد قدمين فوق الارضية. وقد ظهر من نتائج حسابات طريقة الكاربون ١٤ أن البناية قد احرقت حوالي سنة ١١٨٠ ق. م أي حوالي نهاية الاحتلال الكاشي للعراق. وقد تم العثور علي كميات كبيرة من التمور مخزونة في هذه البناية الكاشية مما يؤكد كونها مخزن غلال لأحد التجار خاصة وأن العراق كان يستورد التمر من دلمون واستمر استيراده له مع ماكان يستورد من دلمون خلال فترة الاحتلال الكاشي. وقد ظهر من وثيقتين عثر عليهما في مدينة "نفر" بالعراق ما يؤكد استيراد المدن العراقية للتمر الدلموني الذي كانت له قيمته عند

(1) op cit , p 29

(2) Geoffrey BiBB , Avabain Gulf Archelopp P 101 - 103

العراقيين . ومن الغريب انه لم يعثر في معبد باربار ولا في القصر او البيوت من قلعة البحرين علي اية وثائق مدونة – وهذه اما ان يكون سببه ان اهل دلمون لم يعرفون آنذاك اية كتابة أو انهم قد كتبوا علي مواد غير الطين تلفت علي مر العصور . ولكن يظهر انهم قد استعملوا اللغة الاكدية خلال العصر الكاشي . وربما يعود المخزن هذا الي شخص بابلي كانت له لغته الخاصة وعاداته المختلفة عن تلك السكان المحليين وقد عثر علي رقيم مدون باللغة الاكدية ربما يكون نصا مدرسياً وهو عبارة عن نسخة طالب يحوي امثالا بابلية . ولا نعرف هل يعود الي ناسخ من دلمون يعمل عند هذا التاجر الذي افترضنا كونه بابلياً ؟ وان الرقم الاخري التي عثر عليها في هذا القصر والمدونة هي الاخري باللغة الاكدية فقد وصلت مع الاسف مهشمة في الغالب . وانها كما يبدو عبارة عن قوائم بالسلع مما يؤكد كون البناية مخزناً آنذاك . وهناك بناية اخري من نفس العصر مجاورة الي المخزن علي طول جانب الشالي . وأن الشارع الذي تقع عليه البناية عريض وهذه الحقيقة (الشوارع العريضة في المدن) موجودة في مواقع " هارابا وموهنجو دارو " من وادي السند مما يؤكد تأثر تخطيط المدينة في دلمون بخطط مدن وادي السند . وهناك عبر الشارع جدران بنايات اخري ضخمة (1) .

وهناك ختم ربما يعود الي فترة الاحتلال الكاشي (حوالي سنة ١٥٠٠ ق . م) من اختام الخليج (دائري الشكل) نشاهد علي وجهه شخصاً مع حمل بقسمين ربما يتكون من أوعية فخارية أو من الجلد وقد يكون هذا الشخص حامل ماء

(1) Bibby , Loking PP . 361 – 366 and suveny in oman , p 143 2.B candi , Stephen collier and O . B oe, Excavations

(سقاء) وفوق شكلين شبيهين بالنجوم . وهناك أشياء مدلاة من الحمل ربما تكون شبكتين صيد في كل شبكه سمكة " الختم ١٢ في تصنيف جاد " وعثر من الفترة ١٩٠٠ - ١٨٠٠ ق . م علي مدافن ومحلات سكن في شبه جزيرة عمان مثل المنطقة المسيجة الدائرية عند فرق بدليل وجود الأوعية المزججة " والي جانب هذه هناك المنطقة المحاطة السور الدائري في منطقة الروضة ومواقع ويحي المر وزابي . كما عثر علي بناية داخل سور في موضع عراقي قرب قرية عبري عند وادي طيب لابد أن تعود إلي هذه الفترة .

وعلي الاغلب تعود الصور المنحوتة بصورة رئيسية علي الواجهات الوعرة من الحجر الجيري في وديان الجبل الاخضر الوعرة الي نهاية العصر الكاشي . وتختلف هذه الصور المنحوتة عن بعضها بالحجم والتعقيد . ونري فيها صور رجال علي صهوات الجياد أو علي جمال ونلاحظ طريقة الركوب علي هذين الحيوانين فالخيول معروفة منذ العصر البابلي القديم في العراق وغدت أكثر استعمالا في فترة الاحتلال الكاشي ولو ان احتمال معرفة الخيل في العصر السومري القديم كبير . اما الجمال مستعملة في الركوب في نهاية العصر الكاشي وان احتمال دخول البعير الي جنوب العراق من الخليج العربي في نهاية العصر الكاشي كبير . وإذا كان افتراضنا صحيحاً فان الجمل لابد ان يكون قد استعمل في النقل حوالي نهاية العصر الكاشي في منطقة الخليج العربي . وقد عثر علي هذه الصور في " وديان طيب بني غافر " طبقة وادي سختان ، الخضرة في وادي سختان ، عين عمق وادي سختان وفاشة وادي سختان ووادي هاي البنت وداخار سختان وقلعة حزم ووادي الخطه ووادي فار والقاسيتين وعقبة العير

ووادي بني عوف ووادي بني خاروس وحجر وادي بني خاروس واستال
واوابي وادي خاروس ووادي السويقة ووادي سبت وجرة والعجل ودون
وابلاح ودان وادي العين الوعلا وادي سيغام وغول وادي نخر وغول ووادي
الحمرة وجبل القلع ودات حيل وحيل الملقة وغبرة تنوف ووادي تنوف وتنوف
الشرقي وقلعة نزوه وادي موادين ووادي حلفين الاعلي والاسفل ثم وادي بني
رواحه وقلبه وغيرها . وان طريقة الرسم تختلف من منطقة لاخرى بل حتي في
رسوم المنطقة الواحدة والساق في الرسوم غالباً غير واضحة او غير مرسومة .
احياناً نري الرجال يركبون علي الحيوان واقفين وتختلف صور الراكبين في
الاسلوب والكثير منهم قد صوروا الاشكال دونها رؤوس .

وهكذا نجد انفسنا مستندين عند الحديث عن العلامات بين العراق والخليج
العربي - الي جملة من الخصائص الطبيعية المشتركة التي تركت اثرها علي
حركة الناس ونشاطاتهم المختلفة ، وبالإضافة لما تركته هذه الخصائص
المشتركة في اثر في الفكر الديني والاسطوري للعراقيين القدماء ، فأن احدي
نتائج الاستكشافات والتسعينيات الاثرية في الخليج العربي أخذت تضيء علي
هذه المعلومة الاسطورية سعداً مادياً جديداً لما يقول الدكتور رضا جواد
الهاشمي وكان في ابرز المكتشفات الاثرية في الخليج العربي تشخيص مواقع
ساحلية ينتشر علي سطحها فخار يشابه كثيراً وويتطابق مع صناعة الفخارية
العبيدية ^(١) (العراقية) ان الأساس المشترك بين مجموعة المواقع العبيدية في
الخليج العربي وبني المواقع العراقية يتمثل في تشابه فخارها الملوث ،

(١) العبيد : اسم موقع اثري يبعد مسافة (١٠ كم) شمال غربي مدينة اور جنوب العراق .

وبالإضافة الي ما يكشفه انتشار الفخار العبيدي في الخليج العربي من وحدة عناصر فنية في الحضارة بين الطرفين ، فإنه يشير أيضاً الي الاتجاه الصحيح والطبيعية لصلات مركز حضارة وادي الرافدين .

أن الموطن الاصلي لمنشا التقاليد الصناعية لفخار العبيد هو في " اريدو والعبيد " لذلك فإن المواقع العبيدية في الخليج العربي تؤشر نطاق وحدة حضارية واسعة تشمل الاقسام الجنوبية للعراق والاقسام الشمالية للخليج العربي بموجب ما يسمح به انتشار المستوطنات أن لم تكن ابعد حدوداً في ذلك أو انها اقل تقدير لتؤكد لنا الصلات الواسعة والمصالح المشتركة بين الطرفين في فترات مبكرة في عمر حضارة الانسان .

لقد أثار اكتشاف فخار العبيد في الخليج العربي اهتماماً متزايداً في المحافل الاثرية، ومما زاد من أهمية الاكتشاف كون فخار العبيد يرتبط باقدم استيطان في القسم الجنوبي من العراق . كذلك اثار هذا الاكتشاف خلافاً حاداً بين الباحثين ، وكانت من ابرز نقاط الجدل حول تعيين سبل الاتصال وطريقة واتجاهاته بين العراق والخليج العربي . فاعتقد بعضهم بان طرق الانتقال بين الجانبين كانت برية ، ورجحوا أن يكون وادي البطن كان هو المسلك الرئيسي للتصال بينهما ، وذهب هذا الفريق من الباحثين الي ابعد من ذلك عندما افترض بان اكتشاف فخار العبيد في الخليج العربي يعد مؤشراً لهجرة بشرية صوب القسم سالجنوبي من بلاد وادي لرافدين ، ولكن هذا الخلاف لم يستمر طويلاً ، حيث حسنته نتائج دراسة اجرتها جون أوتس وآخرون عمدوا خلالها لاجراء تحليلات كيميائية للعناصر المكونة لطينة الفخار أو صبغة الالوان المستخدمة في زخرفة وقرروا

بموجب ذلك ان الفخار العبيدي الملون الذي اكتشف في المواقع الخليجية انتقل معظمه من المواقع العبيدية في جنوبي العراق ، وبشكل خاص من " اور واريدو " .

ولكون معظم المواقع العبيدية في الخليج العربي قريبة من الساحل ، فقد تم الاتصال بينها وبين مراكز جنوبي العراق عبر طريق ساحلي في مياه الخليج العربي فخلال الالف الخامس ق . م . كانت مجاميع من الصيادين أو التجار تخرج تباعاً من اور وأوريدو في رحلات بحرية في الخليج العربي صوب المستوطنات المعاصرة لها ، وتقيم هناك بعض الوقت ، وتنقل في رحلاتها كميات من المؤونة اللازمة في جرار وأوان فخارية ، حيث اهتمت كسر الاواني المهشمة لتؤشر لنا لاحقاً عن الصلات التاريخية المبكرة بين جنوبي العراق وبين الخليج العربي ، وهي الصلات التي تعززت لاحقاً لتشكل اساساً متيناً في العلاقات بين الطرفين .

ولكن هذه الاتصالات توقفت بعد الالف الرابع ق . م . في هذه المستوطنات ويتعذر علينا معرفة السبب الرئيسي في ذلك ، والذي يحتمل ان يكون اقتصادياً قد عرقل اسباب الرحلات التجارية بين الطرفين ، أو طبيعياً كتعرض هذه المستوطنات لارتفاع مناسيب مياه الخليج العربي وتعرضها للغمر مما تسبب في هجرها كما تفيدنا بذلك الدراسات الأثرية الحديثة أو يكون السبب مناخياً ، بحيث تسبب في زيادة الجفاف ونقص مستويات المياه الجوفية تسبب في عرقلة استمرار الحياة في هذه المستوطنات ، وربما لعب العاملان دورهما سوية في إيقاف اسباب الاتصال بين الجانبين .

ومهما يكن من امر تفسيرات طرق الاتصالات او اسباب انقطاع الصلة او غيرهما من مشاكل البحث المتعلقة بشأن المستوطنات العبيدية في الخليج العربي وعلاقتها بالعراق القديم، فالامر الذي نستطيع ان نقرره يتمثل في التأكيد علي وجود صلات وثيقة وواسعة بين العراق والخليج العربي منذ فترات تاريخية مبكرة ، وان المخلفات المادية تكشف عن طبيعة المصالح المشتركة والاقتصادية للطرفين ، ولكن من المرجح انها تضمنت علاقات بشرية ايضاً ، بخاصة وان معلوماتنا عن الصلات بين الجانبين من الفترات اللاحقة تدعم هذا الاتجاه في التفكير ، فقد سبق لنا استعراض المصادر المسمارية وما تحوية من معلومات مهمة عن الخليج العربي ، والمكانة التي كان يحتلها في نفوس وعقول وديانه العراقيين القدماء بحيث حددت الجنة السومرية في احد اركانها . كما لاحظنا سابقاً وعند استعراضاً للمخلفات الاثرية ، التطبيق العلمي للتصورات التي رسمتها المصادر المسمارية لتصورهم للجنة في مجالهم الأسطوري .

* ادلة جديدة في كون دلمون تقع في وادي الراقدين :

ذهبت بعض البحوث الجديده والتي تم طرحها في مؤتمر الاشوريات الـ ٢٧ والمنعقد في صيف عام ١٩٨٠ / من قبل الدكتور ثيريز هوارل كارتر والمنشورة في مجلة .

والمنشورة بتاريخ ١٩٨١/٣/٤ في الصفحات ٢٢٣ - ٢١٥ وقد ركزت هذه الدراسات جلها في مجموعات ثلاث عن الاساطير السومرية وكذلك عن الآثار في وادي الراقدين فالإضافة الي المعلومات الجديدة عن الخليج العربي .

أكد الباحثون فيها على ما يلي :-

* يجب التأكيد في البداية علي أن دلمون السومرية الاسطورية والتي هي حقيقة تاريخية كما عرفنا سابقاً ، لا تقع في نفس مكان دلمون والتي لقبت دوراً اقتصادياً مهماً في عصور تاريخية لاحقة والتي في المعروف الان أنها تضم جزر البحرين (وجزيرة ، فيلكان) ومعظم الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وفي الحقائق المؤقتة الان ايضاً انه ليس هناك اي دليل علي علاقات تجارية بين دلمون الخليج ووادي الرافدين سابقة لسنة ٢٢٠٠ ق . م .

* ولقد اثبتت الدراسات والمسوحات الجيولوجية لمنطقة الخليج العربي علي أن الخليج كان خالياً من المياه تماماً في حدود (٥٠٠ ق . م) ذات نهري دجلة والفرات قد حضرا مجراهما ، علي حدة ثم معاً ، حتي مضيق هرمز وانهما كانا يصبان في خليج عمان .

* كما ان الدكتور " تيرزا هول " اكدت علي ان مكان السومريين الاوائل كان علي طرفي مجري النهرين (أي شط العرب المكون من دجلة والفرات أو النهر المشترك الذي صار يجري في ارض الخليج لمسافة نحو ٨٠٠ كم أو سكن في اقوام عن الخليج الاوائل وعلي طرفي هذا النهر في ارض الخليج العربي ، وبامكان المرء ان يتكهن بان يؤكد الحضارة السومرية أو سابقتها قد نشأت وازدهرت في هذه البيئة الخصبة الوفيرة المياه والصالحة للزراعة وليس في مكان غيرها وبالطبع ان غم الاثار لا يستطيع ان يقدم ادلة مادية الان علي ان هذه التكاليف وعلي وجوه تلك الجماعات الاولى من المزارعين بارض الخليج بسبب انعمارها بمياه الخليج لكن في حدود الستة الاف سنة التالية ما بين

(١٤٠٠٠ - ٨٠٠٠ ق . م) بدأ الخليج يأخذ بالامتلاء تدريجياً من مياه المحيط الهندي المتصاعد من الجنوب ومن الشمال بمياه وفيضانات انهرى وادي الرافدين وانهر بلاد فارس بدرجة اقل وعلي ستة مراحل سجلتها لنا ظواهر بارزة في قاع الخليج علي شكل ضفاف (سواحل) ومساطب بحرية مغطاة (والتي غمرتها مياه الخليج الان) .

* وتقول السيدة تيرريزا هول : وفي هذه الفترة بقيت اراضي الساحل الغربي علي حالها رطبة وصالحة للسكن والزراعة بينما كان الساحل الشرقي علي عكس ذلك بسبب عدم الاستقرار الجيولوجي ، فلم يكن المكان صالحاً للاستيطان فقصد الناس الذين أخذ وبالا نسحاب من اطراف شط العرب من ارضي الخليج التي بدأت بالانغمار بالمياه ، الي اليابسة علي السواحل الغربية والشمالية في الخليج اي الاطراف الشرقية من جزيرة العرب وحافات دلتا العراق الجنوبية وقد تركوا لنا البعض في مختلفاتهم بشكل صناعات فخارية (حجر صوان) في مواقع متعددة في هذه المنطقة ببني عمان مروراً بالامارات العربية وابو ظبي وقطر والبحرين حتي تلال البرقان في الكويت .

* وفي حدود (٨٠٠٠ ق . م) امتلأ الخليج بثلاثة اربعة بالمياه بينما كانت درجات الحرارة اخذة بالارتفاع وعلى السواحل الغربية للخليج لازالت المخلفات الاثرية مكونة في صناعات صوانية مثيرة الي عصر حجري بسيط بعض الاماكن وربما عصر حجري قديم وحجري حديث في اماكن اخري وفي حدود (٥٥٠٠ ق . م) زود البحر العربي والمحيط الهندي الخليج قبل ما كان باستطاعته أن يستوعب اضافة الي المياه الداخلية اليه من انهار في (شمال

العراق وبلاد فارس) وفي هذه الفترة صار المناخ الدافئ والرطب في هذه الاصقاع صالحاً لنمو اشجار النخيل وبعض الخضروات الشبه المدارية .

يبدو أن هذه الفترة امتدت في عصر العبيد والذي ظهرت اماراته في سواحل وجزر الخليج الغربية، كما برز قبل ثقله في بلاد سومر الي الشمال حتي مدينة (العمارة) كما انتشر شرقاً في بوش وفي ايران .

* وفي حدود (٣٨٠٠ ق . م) كانت درجات الحرارة علي اقصاها في منطقة الخليج حتي أنها كانت اعلي بدرجتين مؤويتين عما هي عليه الان واصبحت سواحل الخليج كما هي اليوم في . اماكنها الحالية وعلي ما يظهر ان دجلة والفرات ، صارا يلتقيان كما هو إلي الان الاب عند القرية

* ومن المقبول القول الان ان الساطير السومرية الرئيسية قد ولدت في حضارة عصر العبيد في اواخر الالف الخامس ومطلع (الالف الرابع ق.م) رغم معرفتنا في انها قد دونت لأول مرة في حدود (٢٢٠٠ ق . م) إلا انها اعتمدت علي حكايات قديمة الاصول قبل العديد في القرون ، وبقدرا .

* ويمكن القول أيضاً ان دلمون جنة السومرية كما يقول " الدكتور أهوارل " والتي عرفت في النصف الاول في الالف الرابع ق . م بالامكانات معرفتها واستعادة ذكراها الي حد ما . اعتماداً علي معلومات جاءت من عدد فني الحكايات السومرية فيها اسطورة (انكي وننحرساك) وقصة " انكي ونظام العالم " الطوفان ، جلجامش وارض الاحياء رحلات انكي وإنانا الي نفر .

ويلاحظ ان هذه القصص تكشف نواحي معينة من الحياة في دلمون والتي يمكن من خلال تحليل عملية الوصف الجغرافي نجدها تختلف عن بقية الأماكن

وإذا جاز لنا الوصف ان نحدد ابرز ما يميز هذا المكان من خلال الوصف الاسطوري في النقاط التالية :-

- بساتين للنخيل ثماراً كبيرة الحجم
- اشجار باسقة التي فيها يتمكن من تشيد سفن دلمون .
- حقول للحبوب ومنها الشعير .
- مدينة كانت هي ميناء للبلاد .
- دلمون كانت ارضاً خالية من الأموات فالحيوانات والمفترسة لاتؤذي احداً .
- دلمون ذات السماء لامعة صافية .
- الأرض التي زودها (انكي) الهة الارض بالمياة العذبة .
- وهي موطن السيدة النقية نتسكيلاً انه الاله انكي .
- أن دلمون في العصور السومرية والتي وصفتها لنا النصوص الكتابية وكالاتي :-

- خي أرض الصور Laund of Crossing
- الأرض التي تشرق فيها الشمس التي يعيش فيها (زيو سدر ا نوح العراقي) حيث سر الخلود .

- الأرض التي على شاطئ نهر البلاد .
- مسكن اوتو بنشتم (ككاتس) عند فم الأنهار .
- موطني انكي الذي يحكم المياة العذبة .

- جميع المباني المقدسة في اريدو ، ونهر ودمون مخصصة لا انكي وابيه أنليل ، وأن هذه المدن تتصل مع بعضها عن طريق الماء ، كما تؤكد ذلك نصوص الرحلة ، وانها تقع علي حدود الأهوار .

* الأب وعن محاولة البحث عن موقع دلمون جغرافياً بالامتحانات استبعاد عدد من الأماكن العراقية القديمة منها نفر، اريدو، اور، منطقة الأهوار ، ارضي البحر السهل العالي ، البحر العريض ، وأن الأدلة المتوفرة لدينا في الأساطير تفيدنا في حصر منطقة المكان المحتمل لدلمون الأولى (المبكرة) وأن هذه الأدلة لا تلغي لبعض الأماكن إلا انها تزودنا أيضاً بأوصاف اكيدة تساعد علي حل هذه المعضلة وهذه الأوصاف الاخيرة تشير الي مكان يشبه الي حد ما منطقة (القرنة) في العراق .

وأن سبب ترجيح هذه المدينة في بلاد الرافدين انما يعود لتوافر اشجار النخيل ونباتاته الكثيف وغاباته ، ولاحتماءها علي الاشجار الباسقات المتوفرة ، والحقول المزروعة فيها كما وان فم النهرين والذي يعرف تاريخياً بأنه موضع التقاءها ، وسرعة المياه وطبقاتها في هذا المكان وان ما يميز هذه المدينة علي كونها دلمون القديمة ، هو وقوعها إلي الشرق من عديدين المدن السومرية ، الكائنة عند نهايات الأهوار كما أن ما يزرعها علي غيرها وقوعها علي هافة نهر واسع وهذا الأمر هو الذي جعل العالم سايرز يقترحه كمكان لدلمون لذلك في مقالته والتي ذكر بانها سابقاً المرسومة باسم انهر الجنة المنشوره عام ١٩٦٧ والتي استخدم فيها تحليل النص التوارثي عن جنة عدن في وصفة للتقاليد السومرية وفي مقارنته الراوية مع بيوت ومباني الاهوار الحالية ومعوماته

الشخصية عن جغرافية المنطقة ، وقد اكد نفس الرأي قبله الباحث لو فنتس في القرن التاسع عشر الميلادي والذي كان قد انبهر كما اسلفنا سابقاً في الخصرة الطاغية بساتين النخيل في القرنه كما لاحظ الخليج فيتقدم عشرين ميلاً نحو الشمال باستمرار وقد اعطاه هذا المكان انطباعاً بأن هذه النقصة في دلتا العراق كانت يوماً عند ساحل البحر .

* وما يولد ما ذهبنا اليه ايضاً نص ملحّة (زيو سدرا) وقصة الطوفان والتي يقول فيها ان الناجي الوحيد من الطوفان قد منح الخلود وذهب يسكن بعيداً عنه فم الأنهار (في أرض العبور) في منطقة دلمون (في المكان الذي تشرق منه الشمس – أوتو) كما تقول الاسطورة وان هذا الفيضان العظيم قد وجدت بقاياها اثارياً في بداية عصر الوركاء ، والسذي يعود الي منتصف (الالف الرابع ق . م) والذي شوهد بوضوح في طبقات متعاقبة واضحة في مدن اريدو ، واور ، والوركاء ^(١) .

* دلمون وموقعها في البحرين والخليج العربي .

وقد أكد الكاتب " جيوفري بيبي " ما ذهبت اليه (تيريزا هورال) من السومريين قد اعتقدوا بوجود " بحر الماء العذب " والذي يبطن الارض والماء المالح (Abyssos) والذي يظهر في الكتاب المقدس علي نحو (المياه التي تقع اسفل الارض) لقد كان انكي اله اللجة وهو الذي اعطي المياه (لدلمون) ولقد كان البطل العراقي (زيو سدرا) من الفيضان ولقد استقر زيو سدرا في دلمون وهتزا اصبحت (دلمون) خي الموطن الابدي للسلق الخالد كدليل البشرية .

(١) جيوفري بيبي البحث عن دلمون ص — ٩

ولابد ان جلجامش قد ذهب لدلمون في بحثة من اجل الخلود ولكني هذا الباحث يعود لتوكيد عدم توصل الباحثين لحركة الحقيقة بموقع دلمون فيقول (ولسوء الحظ لانزال وحتى هذه اللحظة بعيدين عن معرفة موقع دلمون بالضبط وكل ما نعرفه انها تشكل جزءاً في بحر الجزيرة العربية بمحاذاة الخليج العربي وأنها وامدة من جزر ذلك الخليج علي الاقل وهناك مسافة مذكورة من قبل وهو ما ورد في قول " سرجون الأشوري " انها علي بعد / ٣٠ / ساعة مضاعفة وذلك عائداً الي ان الأرقام في جولييات ملوك آشور الايركن ايها كثيراً ولأنني بالرغم من معرفتنا بأن العاصمة وهي اسوان الواقعة علي جزر الخليج كتناات لا تصلح قياس تلك المساحة ويضيف نفس الكاتب بالاستناد إلي مقولاته عن الأثاري رولنسون من أن (دلمون) بعداً يعيش حاكمها (أو يري) علي بعد (٣٠ / ساعة) مضاعفة بعيداً في وسط بحر الشمس المشرقة) وادي رولنسون أن البحرين تتطابق (ودلمون) ويسوق هذا النص السرجون الاكدي هذا المعندي فقال سرجون انه نهر (بيت اياكن) شمالاً وجنوباً الي المدن الاربع الواقعة علي الحدود العيلامية ، وعندها فقط يواصل الحديث سائداً او يري ملك دلمون الذي يبعد موقعه ثلاثين ساعة مضاعفة ويقع مكانة مثل السمكة في وسط البحر حيث تشرق الشمس ... وقد سمع بعظمة ملكي فارس هداياه ^(١).

ويقول الباحثان عبد الله بن خالد الخليفة وعبد الملك بن يوسف الحمد أن بني اسطورة السومريين ورويات المؤرخين الكلاسيكي حلقة مفقودة ليس في اليسر

(١) جيوفري : البحث عن دلمون ص ٩ وما بعدها

تحديد معالمها في التاريخ القديم تماماً كما لا يمكن فصل (الماء المالح
الأجاج عن الينابيع العذبة في باطن الخليج العربي) ^(١).

والغريب في الأمر ان جيوفري بيبى يجاري الآخرين في العوم حول الحقيقة
بلا دليل فيقول . أن دلمون هي دولة تبلغ حجم بابل واشور مجتمعين ، وشكلت
سوقاً واسعة فريده ، زودت بلاد الرافدين بالنحاس وبلغ الترف في الشرق
وكانت خامس امبراطورية عظيمة في العالم القديم . ولا نجد في هذا الرأي ما
يدعمه في كثيرين المصادر التاريخية او يدعمها في النصوص بل بالعكس ما
المصادر وهي اختلف في موقع (دلمون) لكنها تتفق في كون البحرية كان
واحدة في مواني التي تقع هذه الامارة وكانت تقع سيطرتها للدولة الاشورية ،
وهذا الامر هو الذي جعلها امرائها يدفعون الدية لملوك اشور كما هو واضح في
النص الذي قدم بها ملك الجرينة المدعو (او ليري بالهدية الي الملك سرجون
الثاني .

(١) البحرين عبر التاريخ ص ٤

الجنة أو "دلمون" هل هي في الهند

وقد ناقشت الباحثة الهندية روميل ثابيروز مواقع (دلمون
ومكان ملوخوا) من وجهة نظر المصادر الهندية وخرجت بالاستنتاج بان
الأسماء دلمون ومكان وملوخوا ليست بكلمات سومرية ولهذا السبب ليست لها
أية معاني باللغة السومرية وحاولت ان تعطي أسماء هذه الأماكن اصولاً شبه
درافيدية (ما قبل الدرافيدية) . وقد اشارت إلى الآثار الكثيرة التي تم العثور
عليها خلال الحفريات التي تدل على العلاقات كالألف من الأواني المصنوعة من
الحجر الصابوني الناعم الملمس " الستيتايت " من موقع (تبه يحي) التي تشير
إلى علاقة مع حضارة هارابيا من وادي السند. وتمثل سبائك النحاس على شكل
قطعة دائرية صغيرة ، والحروز النحاسية والتمائل النحاسي لحيوان من شوشه
بعيلام وآخر من لوئال في الهند من الألف الثالث ق . م .

مهمة في هذا الباب. ثم وجود الأدوات التي تعود لحضارة هارابيا في المواقع
العراقية بالطبقات الخاصة في العصر الأكدي مثل الفخار والخرز وتطعيمات
الصدف والأختام المصنوعة من الطرز السندية إلى جانب التشابه في تماثيل
الرجال. إلى جانب وجود الأوعية ذات الشريط المنفرد Reserved Slip
Ware ، في اور ، وتل براك ، في الجزيرة الفراتية والطبقات الأولى من موقع
(موهنوجو دارو) في وادي السند (ولوئال) ومختلف بلوجستان واخيراً في
كوتش (كوج) تدل على علاقة سبقت العصر الأكدي . ففي الأسطورة
السومرية المعروفة بأسطورة (انكي وتنخورساك) نري . الرب أنكي ييبارك
أرض ملوخوا ذات الرخام وطيورها التي اسمتها طيور دار (ربما الطاووس)

ثم قارب (ملوخا) المعروف باسم ماكيلوم Magilum التي تحمل الفضة والذهب إلي الأيكور (البيت الجبل وهو معبد الرب انليل في مدينة نفر) . وأن ملوخا ذات ارتباط مع دلمون ومكان . وقد غزا الملك ريموش (٢٢٦٨ - ٢٢٥٩ ق . م .) ابن وخليفة الملك سرجون الأكدي (ملوخا) وقال (نرام سن) حفيد سرجون الأكدي (٢٢٤٤ - ٢٢٠٧ ق . م .) أن أهل ملوخا التي يسميها الأرض السوداء يجلبون اليه جميع أنواع البضائع النادرة التي تشمل ايضاً العقيق الأحمر واللازورد الأزرق . وقدمت ملوخا كما يذكر كوديا أنسي مدينة لكش (٢٠٩٣ - ٢٠٧٣ ق . م) الحجر الأحمر والخشب للمعبد . حيث نقرأ في تمثال دكون سفن مكان وملوخا وكوبي Gubi ودلمون قد ارسلت الي الجزيرة الكبيرة وجاءت سفنها محملة بالخشب المعمول (كيش - ما - نو - كان - لا - أم) . ثم ذكر في اسطوانة أ (ومن أجل بناء معبد نينكرزو أرسلت (مكان وملوخا) جزيرة كبيرة من جبالها لبناء مبد نينكرو) . وفي نص اخر لكوديا فهو يذكر في أن (مكان وملوخا) وكأنها بعيدة جغرافياً (معبد الأينيننو .. سوف يرتفع بريقه في السماء . وأن لمعان معبدي سينيير البقاع وسيملأ اسمه الأراضي عند الأفق وسوف ترددها مكان وملوخا من جبالها).

ويظهر أن العقيق الأحمر وخشب الميسما كانا (Mesmaganna) وخشب البحر الجيد كانت من منتجات ملوخا الرئيسية . وكان أهل ملوخا كما تتعتهم الوثائق المتوفرة ملاحين ممتازين . ثم تنتقل (ثابير) إلي مناقشة وثائق فترة سلالة اور الثالثة (٢٠٥٠ - ١٩٥٠ ق . م .) حيث كانت واردات (ملوخا ومكان) النحاس والعاج والبصل والعقيق . فملوخا حسب رأيها لابد ان تكون

منطقة ساحلية ولهذا السبب نلاحظ الإشارات الي ملاحيتها الممتازين وشعبها البحرين وإن الإشارة في الوثائق الي العقيق كونه واحداً في البضائع التي تصل الي هذه المدن كان يستورد في منطقة كوجرات الواقعة علي ساحل الهند الغربي ذات الأتصال بمحلات الحصول علي العقيق أمثال (راجيبلا) ومنطقة (نارمادا) ، وأن خرزات العقيق علي شكل الكلية التي عثر عليها خلال الحفريات في موقع اور المرتبطة بوجه خاص مع (هارابيا) مدرجة ضمن منتجات ملوखा . والمعروف ان مصدر اللازورد الأزرق كان منطقة بدخشان (في أفغانستان) حيث تنقل من هناك إلي سواحل إيران أو غرب الهند. وربما استحصلوا اللازورد أيضاً من سلسلة جبال سابتورا في غرب الهند كما استحصلوه من سلسلة جبال (ساهيا وداري وهي القسم الشمالي من جبال الغات الغربية في شبه جزيرة الهند) . وفي بداية الألف الثالث ق . م . كما تذكر (ثابير) كانت مواقع شمال العراق كما يظهر كونها كانت نشطة في تجارة اللازورد ولكنها اضمحلت بعد ذلك واصبحت اكثر نشاطاً في المواقع الجنوبية من العراق ، وعثر خلال الحفريات في موقع (لوثال) علي خرزتين من اللازورد تدل اما انهما قد صنعتا محلياً أو ان تجار لوثال كان لهم منفذ إلي مصادر بدخشان ، ويذكر كتاب الطواف حول البحر الارتييري من القرن الأول الميلادي ان العقيق كان بين صادرات غرب الهند .

ثم تذهب (ثابير) إلي القول : باحتمال كون اسم ملوखा اسماً شبه درافيديا (Proto – Dravidian) وهو بالأصل ميلوككو ومعناها (عالي ، نهاية ، غرب) ثم أن معني ميلوككو (ملوखा) في اللغة السنسكريتية النهاية القصوي

والغرب وأن الحرفين المتجاوزين ك ك في الكلمة قد نقلوا وأصبحا في اللغة السومرية . وتذهب (ثابير) إلى أن هناك تفسيرين محتملين إلى موقع ملوखा الأول إلى الشمال والثاني إلى الشمال الغربي للسند يؤدي إلى تجارة اللازورد وبذلك يضعف الاحتمال بكونها المنطقة الساحلية إلا إذا كانت تصل مكران . وبذلك يمكن تطابقها مع المنطقة الساحلية لغرب الهند . فإذا كانت الأولى فتكون بذلك إلى غرب حضارة هارابا . وإذا كانت الثانية فتكون في نهاية توزيعها مراكز حضارة هارابا . وربما كانت ملوखा برأيها تقع في الأصل في النهاية الغربية ولكن منذ زمن سرجون الأكدي وقد طوبقت مع كوجرات (مصببات سابارماتي ماهي ، نارمادا ، تابيتي وشمال كونكان) . أما إشارة المصادر السومرية إلى أن سكان ملوखा شعب أسود اللون فتفسر ثابير بأنه أمر لا يدعو إلى الاستغراب لأنهم بصورة عامة يماثلون الجماعات التي كانت باستراليا قبل دخول الأوروبيين لها إلى جانب وصف كتاب الطواف حول البحر الارتيري أهل كوجرات بأنهم سود البشرة وطوال القامة . وأن المنطقة المجاورة إلى كونكان (الواقعة على ساحل الهند الغربي) كانت معروفة بالعصور التاريخية الأولى باسم كارناتا التي قد تكون مشتقة من الكلمة كارنادو التي معناها في اللغة الدرافيدية البلاد السوداء وربما كانت مدينة لوثال هي المركز التجاري لمنطقة وادي السند الذي يتصل تجارياً ببلاد سومر . ويظهر الدليل الأثاري بأن لوثال كانت قرية صغيرة ثم صارت منذ حوالي سنة (٢٤٥٠ ق . م .) عند وصول الهارابيين لها مدينة واسعة يغلب عليها العنصر الهارابي . وحوت الطبقات الأولى من موقع لوثال الأدلة الكافية من الأوعية ذات الشريط المنفرد الذي

نعرف وجوده أيضاً في مواقع (اور) في جنوب العراق (وتل براك) في الجزيرة الفراتية والذي وجد ايضاً في الطبقات الأولى من موقع سوركوتادا في كوتش . ويشمل كنز الحلي الذي عثر عليه في موقع (لوئال) علي تسع خرزات دائرية الشكل مع أنابيب محورية تشابه مثيلاتها التي وجدت في مقبرة اور الملكية وهذا الدليل يؤكد قوة العلاقة بين هذه الحضارات وغن اكتشاف ختم من طراز الخليج العربي في لوئال يشير الي علاقة مع خطوط التجار الرئيسية في الخليج العربي . كما عثر مصنع للخرز في مدينة لوئال ينتج الخرز المصنوعة من اللازورد واليشب والاوليال والبلور وأخري صخرية . وهناك أدلة من لوئال أيضاً عن وجود صناع للأدوات النحاسية وقد اكتشف في محلات عملهم سبائك بشكل قطع صغيرة مدورة مشابهة لتلك التي عثر عليها في شوشه والعراق .

وناقشت ثابير موقع دلمون أيضاً . فقد ذكرت أن احد النصوص المسمارية يشير إلي دلمون بأرض العبور وكون الوردات المستحصلة من دلمون تشمل النحاس والخشب والحجر والعاج والأصداف والمرجان الأبيض واللؤلؤ (الذي أطلق عليه في الكتابات السومرية - الأكديّة عيون السمك) ومواداً أخري أمثال أراسوم وخطوموم وميراخدوم . وكانت المواد المصدرة الي دلمون من العراق بدليل المصادر نفسها الصوف والثياب الجاهزة وزيت السمسم والجلود والشعير وأحياناً خشب الأرز .

وذكر الملك الأشوري (أشور بانيبال) الغنائم التي وصلت من دلمون بينها سبائك نحاسية وأدوات حماسة وبرونزية وعصي من الخشب الثمين والكحل .

وبحثت ثابير احتمال كون الاسم من اصل ذي علاقة بشبه القارة الهندية .
فالكلمة تيل Til في اللغة الما قبل الدرافيدية معناها نقي او نظيف .

ومعني كلمة مان في نفس اللغة بلاد ، ارض . فكلمة تلمان (من مزج
الكلمتين تيل ومان) المشابهة الي كلمة تلمون معناها في اللغة الما قبل الدرافيدية
الأرض الطيبة ، الطاهرة .

فمثل هذه الأرض الطاهرة تقع علي ساحل الهند الغربي وتجعلها (ثابير)
منطقة (كاثياوار) وهذه المنطقة نفسها يطلق عليها في جغرافية البوراننا (كتب
هندي مقدسة) التسمية سوراسترا (ومعناها الأرض الطيبة) . وإن سمواقع
هاربيه من العصور المتأخرة مثبتة في جميع منطقة كاثياوار والتي ترجع الي
الفترة المعاصرة للعصر الأكدي في بلاد الرافدين . ولكن من الصعب تعيين
مواقع هارابية من أزمان أكثر قدماً كأن تكون معاصرة (لاور نانشة) حاكم مدينة
(لكش) في جنوب العراق . ومن المحتمل ان التنقيبات المقبلة علي طول ساحل
(كاثياوار) الجنوبي ستكشف عن مواقع قد تعود الي أوائل عصر هاريبا وربما
الي ما يسبقه .

وربما ازال الفيزانات التي دمرت كاثياوار وكوتش حوالي سنة ١٥٠٠ ق.
م . الأدلة لهذا من المواقع الهارابية . وإن الإشارات إلي دلمون في المصادر
العراقية من العصر الاكدي تدل علي أنها منطقة غنية بمواد خام .

وأن سوراسترا تقع إلي الشرق من بلاد سومر وبذلك حيث تشرق الشمس
أولاً . وأن ارتباط هذه المنطقة برب الماء معروف من العصور التاريخية حيث
أن ربها هو الإله فيرونا رب الماء والبحر الهندي والذي يرتبط بصورة خاصة

مع نهر السند . إلى جانب كون سوراstra منطقة كثيرة الغابات . وتعرضت
 ثابيرا إلى حقيقة كون التجارة بين دلمون والعراق قد توقفت في زمن يتفق تماماً
 مع اضمحلال مدن هاريبا والذي ربما كان مؤقتاً لأن الطلب على منتجات دلمون
 في الألف الأول ق . م . قد ازداد على يد الملوك الأشموريين من العصر
 السرجوني (٧٢٢ – ٦١٢ ق . م) ومن الجدير بالذكر أن المصادر الجيولوجية
 الأولى تذكر كون منطقة سوراstra ذات ماضي عريق بالتجارة ويتردد عليها
 التجار كثيراً . وربما تكون (خواندارو) التي جاءتنا من كتابنا الملك (أشور
 بانيبال) برأي ثابير ، هي (قبيلة الأندرا) التي كان ملكها يحكم خلال القرن
 السابع ق . م . في سوراstra . إضافة إلى أن ملوك اندرا كانوا في العصور
 التاريخية مرتبطين من غرب الهند . وأن عصي الخشب التي تذكر المصادر
 المسمارية كونها من منتجات دلمون ربما تكون ، برأي (ثابير) مصنوعة من
 خشب الصندل المتوفر في المنطقة أما الكحل فهو موجود أيضاً في سوراstra .
 وأن ذكر البرونز والأدوات البرونزية يدل على حصول تجار سوراstra على
 منافذ إلى مناطق إنتاج النحاس . وتضيف ثابير هنا منطقة كوبي / كوبين
 Kupin / Gubin المرتبطة مع (دلمون ومكان وملوخوا) التي وصفها كوديا
 مصدراً للخشب . (فأشور بانيبال) يذكر محلاً أسماه كوبيي Kuppi أيضاً .
 وكلمة كوبيي بتحليل ثابير لا بد أن تكون كوبيام في اللغة الما قبل الدرافيدية التي
 هي نهاية طريق تشير إلى مكان حيث نقرأ اسم المكان على ساحل الهند الغربي
 كوباكا الذي ربما يكون المنطقة الساحلية إلى كارناتاكا (ميسور) ولو أن مصدراً

آخر قد وضعها في شمال الملبار . علماً بأن هناك إشارة في نص متأخر إلي كوبالاكاتا – ديسا في غرب التي طوبقت مع منطقة كوا GOA .

ونذكر لنا (الملك آشور بانيبال) ان ملك كوبيي هو رااثاميتي ra-a-mit-te التي يمكن قراءتها أيضاً رااثباتتي ra-a-bat-te المشابه برأي ثابير لاسم قبيلة وتعجل ثابير الجزيرة التي ذكرتها المصادر الاشورية باسم (خازماني) وقالت أنهما علي طول دلمون وكون الرسل يسافرون عبر البحر والبر منها إلي بلاد آشور ، أبعد من كوبيي وتطابقها مع (جزيرة سيلان) وتستطرد بأن خلال الألف الأول ق.م . كان جنوب الهند وسيلان ينعم بالحضارة التي استخدمت في تشييد أبنيتها الحجارة الضخمة غير المنحوتة (الميكالوثية) . وأن مكان تجلب إلي سومر النحاس وحجر الديورايت الأسود وحجر أوو uu . وهناك مزهریات من البلور مدون عليها العبارة (غنائم ما كان نامراك ما كان) ترجع لعصر الملك نرام سن آخر ملك قوي للسلالة الأكديّة الذي نعرف أنه قد ذكر في نصوصة هجومية علي مكان كما ذكر كوديا جلبة لحجر الديورايت الأسود الذي صنع منه تماثيلة . وقد صدرت (مكان) إلي (أور) النحاس والصخور واعاج والخرز المقطوعة من الأحجار الثمينة والخشب والبصل والروائح العطرية وصدرت لها (أور) كما ذكرنا الثياب والصنوف والزيت والأدوات المصنوعة من الجلد . وأن حقيقة ذكر (مكان) علي الدوام مع دلمون مهمة في رأي (ثابير) . وفي اللغة المقابل الدرافيدية ان معني المقطع " ما " حيوان كبير مثل الفيل أما المقطع الآخر (كان) فهو اسم مكان وبذلك يكون معني مكان برأي ثابير مكان الفيلة . وأن الدليل الوحيد برأيها لغزو (الملك الأكوي نرام سن) إلي (مكان) هو

الحرق والإشارات الي التخريب في موقعي (أمري وكوت ديجي) وأن اللؤلؤ موجود في سوراسترا وأن الإشارة الي تحطيم الأخلامو الأراميين غلي تمر (دلمون) يظهر بانه تخريب لسفينة محملة به منها إلي تخريب والحاق أذي ببساتين نخل . واهم واردات مكان كان النحاس " بالسومرية اورودو وبالاكدية ويروم " واديرت التجارة الرئيسية من قبل تجار دلمون . ولو ان النحاس قد استخرج بالأصل من مكان وجلب منها في البداية ونعرف أنها مصدر النحاس المصدر الي العراق وعلي الأخص في زمن صلالة اور الثالث ولكن في عصر اسن - لارسة (١٩٥٩ - ١٦٩٨ ق.م) برزت دلمون مركزاً مهماً في تجارة النحاس ولو انها لا تنتج النحاس . وتعلل ثابير ذلك باحتمال حدوث تغيرات مناخية في منطقة وادي السند السفلي وربما تحولت تجارة النحاس غلي سوزاسترا مرتبطة ع توسع مستقرات هاريبا المتأخرة في هذه المنطقة ، وأن المناطق الرئيسية المنتجة للنحاس في شمال وغرب الهند هي (بلو جستان والسند وروباقتي وراجاستان) وأن وجود النحاس في منطقة سيستان هو أيضاً مصدر (لمكان) وأن مواقع بلوجستان مثل (نال وكوللي) هي غنية في النحاس . وقد عثر في (هاريبا ولوئال) علي بقايا صناعات نحاسية . والبضاعة الأخرى هي العاج التي لاحظناها في سلالة اور الثالثة . وكانت منتجات (دلمون) تشمل الامشاط العاجية وصفائح الصدر وصناديق وملاعق وأثاث مطعم بالعاج كلها شائعة في مدن هاريبا . وأن الفيلة من السند وسوراسترا كانت في الغالب مصدر العاج . وقد استعمل العاج بكميات كبيرة في الأماكن الملحقة بالمعبد مثل قاطعي الخشب والنجارين في أور زمن الملك ايبيي سن (١٩٧٤ -

١٩٥٠ ق.م.)^(١) أما الصخور التي هي من صادرات مكان فموجودة في كاثيا وار وسلسلة كيرثار . وأن قصب همكان هو الخيزران وقد أشار الطبيب اليوناني كتيسياس من القرن الخامس ق . م . إلي القصب الطويل الضخم علي طول نهر السند . وتذكر ثابير احتمال كون معبد الالهة (اينزاك) قد شيده جماعة من التجار او العوائل القادمة بالأصل من سواراسترا واستقرت لأجيال عدة في البحرين . فراء ثابير بالرغم من أهميتها وتقديمها لوعي تفسيرات فان الأدلة التي طرحت عن موقع دلمون دعمته البراهين العملية . فدلمون هي مدينة القرنة الواقعة في بلاد سومر في بلاد الرافدين او في جزيرة البحرين^٢ وليس كما ذهببت هذه الباحثة والتي ساقبت بعض التغييرات الاقتصادية والتي تؤكد علي حجم العلاقة بين بلاد الرافدين في سومر واكد وبابل وأشور ودلمون ومكان لم تقدم لنا وليلاً تاريخياً او جغرافياً او جيولوجياً او اسطورياً علي كون مدينة " دلمون " تقع في منطقة هاربيا في الهند وهي وان ساقبت مقاربة لغوية كلني مقاربتها هذه لم تصمد أمام الأدلة التاريخية والأسطورية والتي ساقها كل من سايبيرز وكريمر ، وكارنز وكثير من الاساطير الرافدينية القديمة .

(1) Leonard wooley , vr Excavafions , 111 No 1998

(2) Romila Tha par , A possible identification of meluhha , Dilmun and makan JESO , Vol 18 part 1 , (1975) pp 2 - 36

دلمون وبلاد فارس

وناقش آخرون قدم العلاقة بين مناطق دلمون (ومكان وملوखा والعراق) وكيف ان صدفة مزينة قد عثر عليها في موقع شجر بازار في شمال سورية ربما موقع مدينة شوبان انليل عاصمة الملك الأشوري شمشي اداد الأول (تعود إلي الألف الخامس ق . م . مستوردة من نهاية الخليج العربي . واعتقد في ضوء استنتاج آخرين ^(١) . خلال تفحصهم لعبارة في النصور الأخمينية بان الاسم الفارسي القديم للخشب المستورد من قبل الملك داريوس الأول (٥٢٢ - ٤٨٦ ق . م) بناء قصره في مدينة شوشة كان خشب يسو وهو نوع من أنواع الأخشاب القوية التي تنمو في مدينة شوشة كان خشب السيو وهو نوع من أنواع الأخشاب القوية التي تنمو في جبال الهمالايا وموجودة أيضاً في جنوب إيران مثل إقليم كرمان . وفي النص الأكدي للملك الأول عند واجهة الجبل في بيهستون قرب سربيل زهاب فإن اسم خشب السيسو هو ميسو المستورد من مكان ، مما حمل البعض إلي الاستنتاج بان مكان لابد انها كانت جزء من إيران وهي تقع فيما وراء بلاد عيلام علي مقربة من الجبال . وقد استحصلوا من المنطقة نفسها علي النحاس قد عرف عن مادة " برونزيات لورستان " كما اعتقدوا بان " ملوखा " تقع إلي الشرق من المدينة جاسك علي الخليج العربي . وربما شملت أيضاً مواقع " جانبار وكوادار " ربما " باسني " الواقعة في نهايتها الشرقية . إلي جانب حقيقة كون منتجات منطقة " ملوखा " التي وردتنا مشابهة لتلك من " مكان " وهي النحاس وخشب الميسو والبصل وطير أسمته

¹ Ilya Gershevitch , Sissooatsusa BSOAS (1957) Pant 2 19

المصادر المسمارية " دار ميلوخا (موشين) " وهو في الغالب الطاوس الذي نراه ممثلاً علي فخار هاربا من وادي السند بالهند⁽¹⁾ . ويرى كيلب كما اسفلنا القول بان مكان هي الساحل الجنوبي لبلاد العرب علي طول الخليج العربي التي تمتد من سومر شرقاً حتي وتشكل عمان . أما ملوخا فقد جعلها علي الشاطئ الشرقي للخليج العربي ابتداء من عيلا من وانشان وجميع البلاد إلي الشرق منهما حتي وتشمل وادي السند . وكانت مكان وملوخا تصدران النحاس وخشب "الميس Mes" وجعل آخرون "مكان" إلي الغرب من "مكران" الحالية في جنوب بلوجستان بإيران بينما ملوخا تقع بالنسبة لهم تشمل غالبية بلوجستان الواقعة حالياً .

مما قدم يظهر ان فكرة وجود موقع محدد لجزيرة " دلمون " هي محصور بين كل من بلاد الرافدين والبحرين وقد اكدت هذا المعني كثير من الدراسات التاريخية والاثارية كما ذهب الي ذلك العهد القديم والذي حدد نفس المعني فيقول.

وانبت الرب الاله في الارض كل شجرة حسنة المنظر وطيبة المأكول وشجرة الحياة ... وبعد الجعل انبت الرب الاله الارض كل شجر منها شجرة الحياة في وسط الجنة ومن هذا التصور يمكننا القول ان الاختلاف بين الرأيين بين اصحاب الرأي الذي يقولون انها تقع في منطقة " القرنة " في بلاد الرافدين يعتمدون الي فكرة التشابه في الوصف الذي وصلنا في كثير من النصوص الاسطورية والتاريخية ، كما أن عمليات الكشف الاثاري القديم والحديث ترشح

(1) M . E . Mall owan , The mechanics of Ancient in western Asia , Reflection The Location of magan awd meluhh, 1 nau 11 (1965) pp 1-5

لنا مدينة (دلمون) التي تقع في مدينة البحرين واذا ما تذكرنا النصوص التاريخية الكثيرة والعديدة الي تشير الي خضوع دلمون وحملكتها الي سلة الملك الحاكم لبلاد الرافدين كما وان العلاقات السياسية والاقتصادية كانت متكاملة طول هذه الحقب التاريخية يضاف إلي هذا وأن هذه العلاقة قد أخذت اشكالا من التبعية لبلاد الرافدين او الاستقلال السياسي عنها ولعدم وجود ما يثبت تاريخياً سواءاً من كتابات تاريخية أو اثارية والتي تدون التاريخ الحقب التاريخية للمالك التي حكم فيها ملوك الخليج الجزيرة كما وأن اغلب الباحثين يتفقون الي ان موقع " دلمون " كان خاضعة تحت سيطرة بلاد الرافدين وهو لا يتنافي مع الرأي الذي يقول انها كانت تقع في دلمون في البحرين الحالي إذا ما عرفنا أن هذه المنطقة كانت في يوم ما مدينة من مدن العراق القديم او ميناءاً من موانئ ومملكة مستقلة فيما بعد من ممالكها وهذا التأكيد بالتالي يجعلنا نقول أن " دلمون " القديمة ليست في بلاد فارس ولا في الهند أو في تركيا او في الحبشة بل تقع في المنطقة التي كانت تابعة للحدود الجغرافية لبلاد الرافدين وهو ليس استنتاجاً بل رأياً دعمته كثير في الادلة والاثارية والتاريخية والاسطورية والتي سنقناها في موضحن سابقاً .

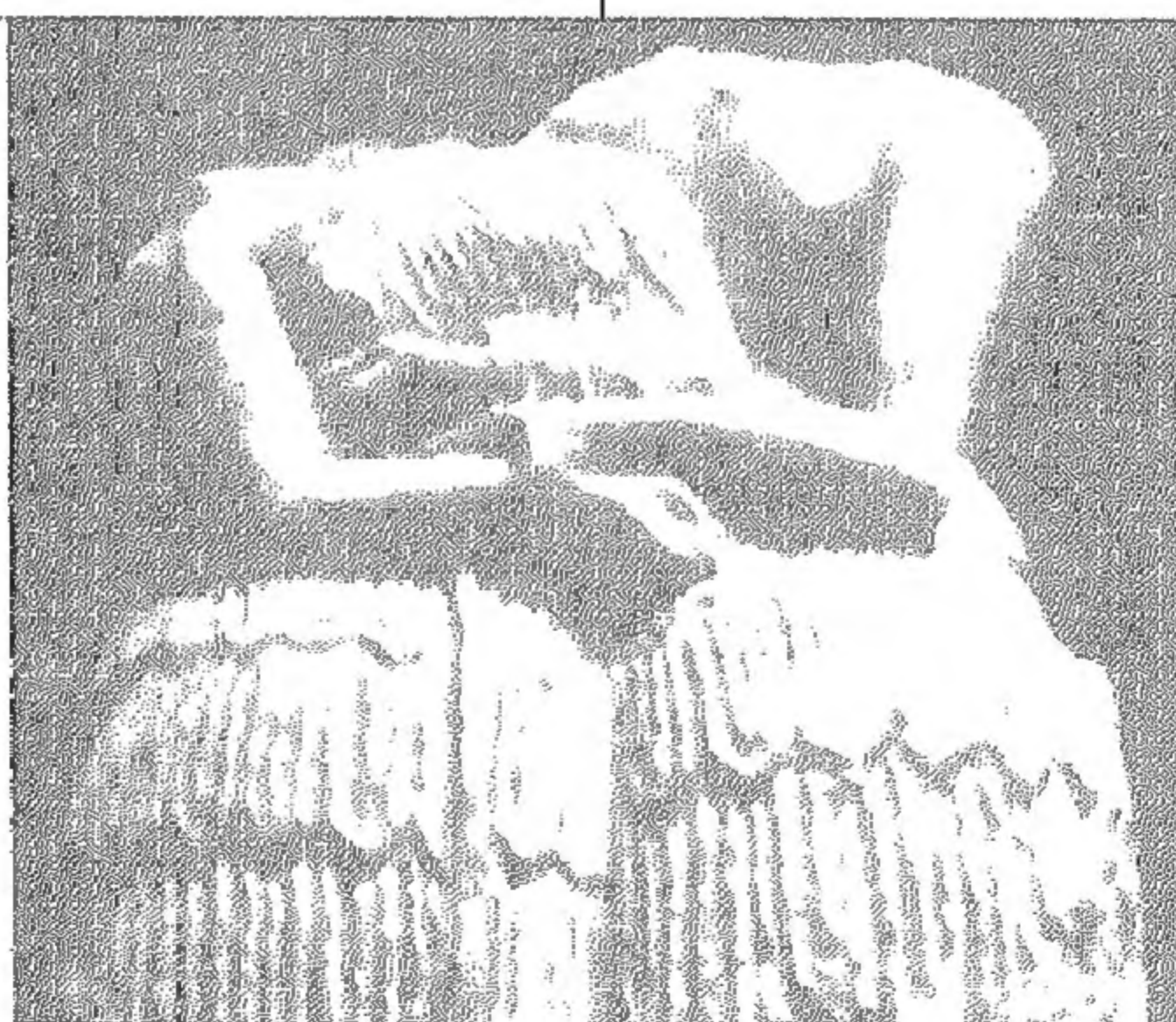
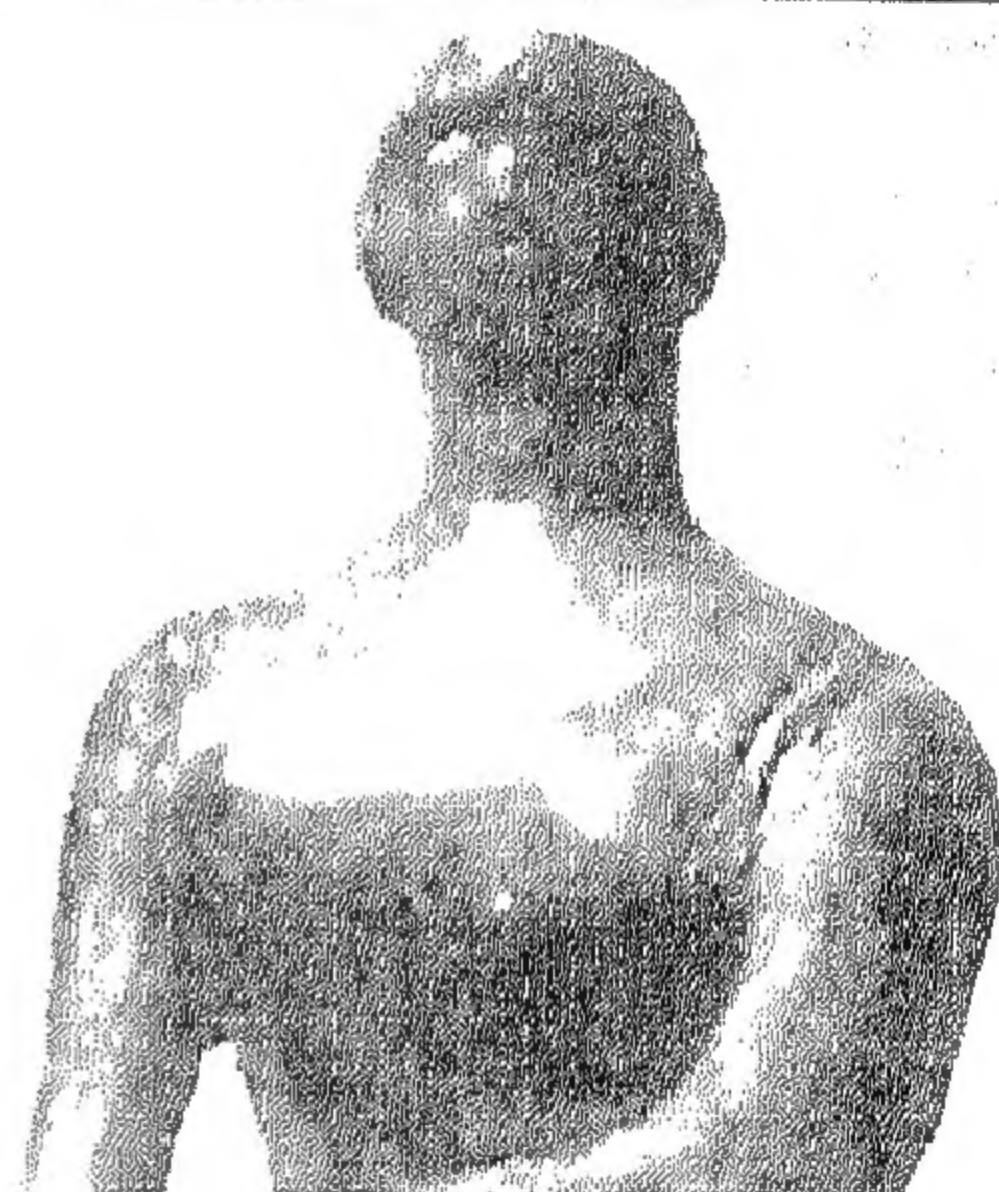
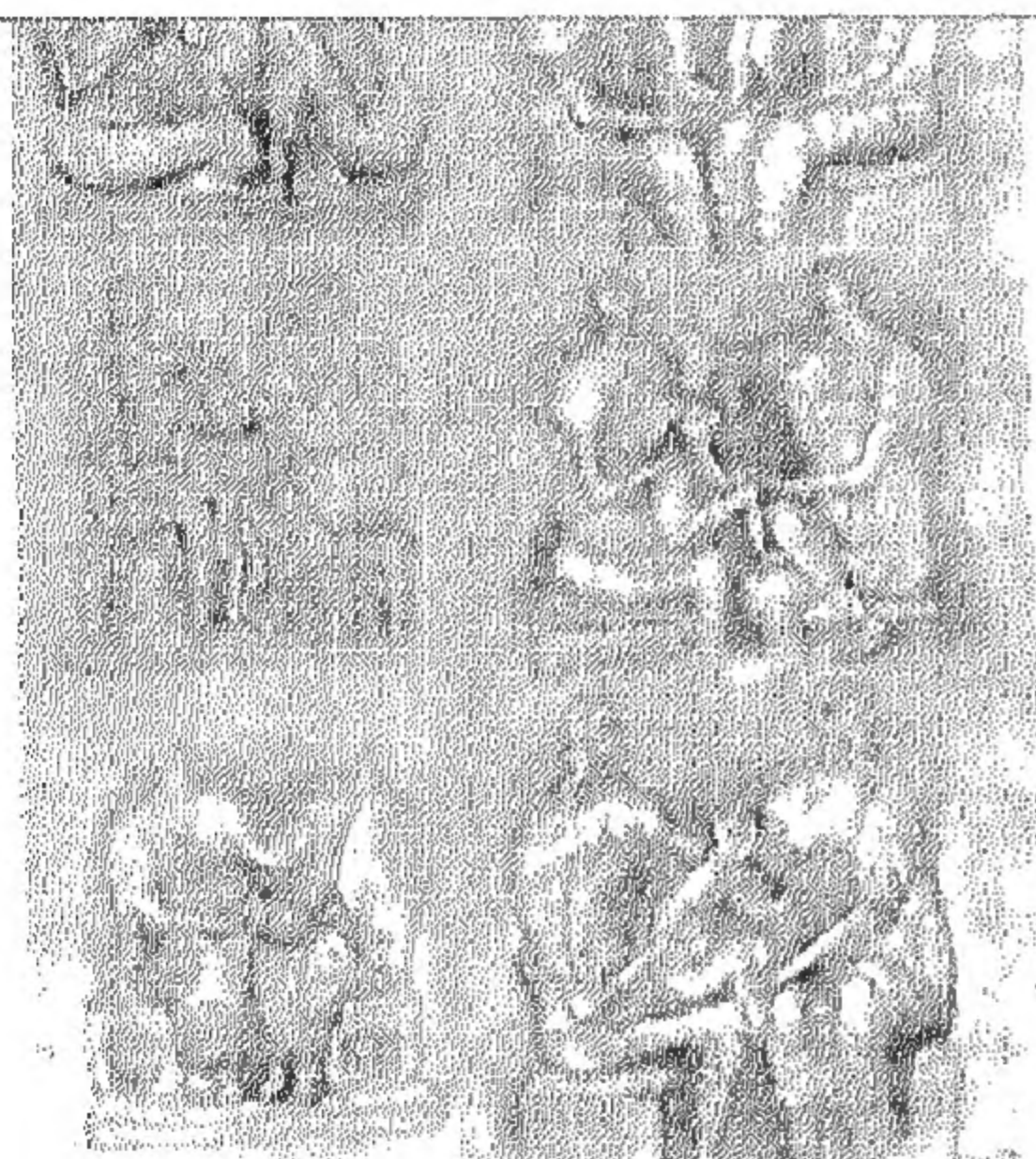
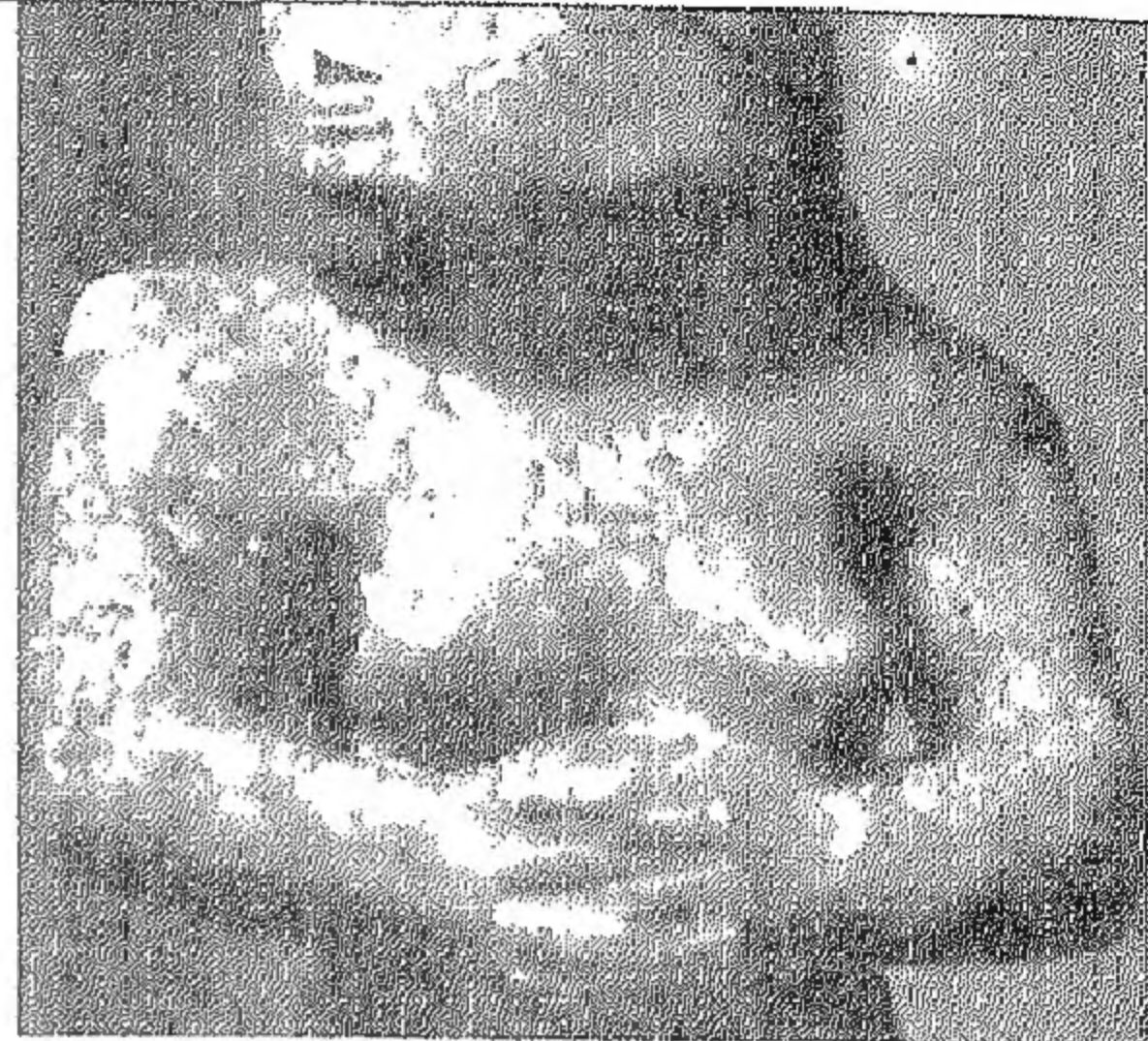
المصادر باللغة العربية

- القرآن الكريم .
- كتاب العهد القديم .
- اوبل كارنر : هولاء درسو الانسان بيروت ١٩٩٦ .
- اودلف ادرمان : مصر القديمة القاهرة بلا .
- ا . ج سبئر : الموتى وكالم في مصر القاهرة .
- أمري : مصر في العصر العتيق القاهرة ٢٠٠١ .
- أمام عبد الفتاح : فلسفة هيچيك دار الثقافة بيروت .
- اميل هونونج : وادي الملوك القاهرة ١٩٩٦ .
- جوادعي : المنصل في تاريخ العربي قبل الاسلام بيروت ١٩٧٧ .
- جيمس بريستد : تطور الفكر والدين في مصر القديمة .
- جيوفري بيبي : البحث عن دلمون الجنه ١٩٨١ .
- حسن خليفة : تاريخ الشرق القديم القاهرة .
- رضا جواد الهامشي : تاريخ الخليج العربي والجزيرة بغداد ١٩٨٤ .
- روبرتس سميث : ديانة الساميين القاهرة ١٩٩١ .
- مسامي سعيد الأحمد : تاريخ الخليج العربي البصرة ١٩٨٥ .
- سامي عابدين : اصل الإنسان في التوراه القاهرة .
- طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات بغداد ١٩٧٣ .
- طه باقر : مقدمة في تاريخ الادب العراقي القديم بغداد .
- طه باقر : مفهوم الزمن في حضارة الزمن عليه افاق عربية بغداد ١٨٧٩
- عبد الجبار محمود : قصة ذهاب كلتامش الي دلمون برجله الوثيقة الحزينة
- عطية عامل : رسائل موت في الحكمة القاهرة ٢٠٠١ .
- فاضل عبد الواحد : سومر اسطوره وملحه بغداد ١٩٩٧
- فاضل عبد الواحد : اهمية الشخصيات ودورها في تاريخ العراق القديم .
- فاضل سعفان : كناسية الله يا مزعو القاهرة .

- ماكس ملر : نشأة الدين القاهرة .
- هنري رياض : اليمن وحضارات الشرق القديم الميند بلا .
- ول ديورانت : دروس في التاريخ ن ترجمة علي سكس دار الطبع .
- ويد جيرى : انتاج وكيف تغيرت القاهرة .
- موسوعة الديانات السماوية بيروت ١٩٩٠ .

المصادر الأجنبية

- Arriana The Anabasis of Alexandre VII20
- P . B Cownwell on the Location of Dilmun B A sor
- C . C Lamberg – Karlovsky , The proto Elamite serri wment at Tepe, yahy . Iran Vol 9 (1971)
- D . D . Lvckenbill Ancient Records of Baby lonid and Assyhia (chicao , 1926) Vol , 2
- Sovrnal of the Royal Asiatic Society n . s . Vol 12 1880
- Geora A . B arton , The Royal inscriptions of summer and Akad , Vol 1 (new heaven 1926) .
- J . P Joshi , Exploration at kuch and Excavations at sunkotda Vol 22 , 1977 .
- Geoffery Bibby Looking of Dilmun Proof Edition Book .
- J – Pritchard and . (Ed) Ancient Near Eastern Text (ANET) Phinseton , 1969 .
- Ilya Gershevitch , Sissoat Su Sa(B so A s) (1957) Part , 2
- King , chronicles concerning Early Babylonian Kings(London , 1907) .
- Moscati , Ancient Mesopotamian civilization companion .
- M . E . Mallowan , The Mechanics of Ancient Trade in western Asia Reflections on the location of magan and Meluhha (Iran 1965) .
- Samuel Noah Kramer , The Sumerians , Their History , Culture and Character (Chicago , 1964)
- Ilya Gershevitch From The Tablet of Sumer (Indian Hills Colorado 1956) .
- And Dilmun The Sumerian Paradise Lawd Expedition Vol 6 , No 3(1964)
- S . N Kramer , The LAND of Living Bulletin of American School of Oriental Research Vol 96 , (December 1944) .
- S . R . Roll , contacts between Lethal and Susa (Pco . 1964) .
- W. H . Shof, The Periplus of The Euxine Sea(London 1917) .
- Zeitschrift für Assyriologie . ZA , Vol 35 .



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	التسلسل
٥	الجنة: دلمون ، الفردوس ، الاسطورة ، الزمان و المكان المفترض	*
١٥	دلمون الرمز والأسطورة والمكان	*
٢٣	دلمون وليس عدن هي جنة السومريين وأرض الخلود .	*
٢٧	دلمون في الأساطير العراقية السومرية	*
٦٧	الجنة في عقائد المصريين القدامى	*
٧٣	الجنة في المعتقدات الهندوسية	*
٧٩	الجنة عند المجوس (أو الزرادشتية)	*
٨٣	دراسة وتأويل في الزمان والمكان المأول للجنة	*
٩٣	آثار وحضارة أقطار الخليج العربي في عصورها القديمة	*
١١٥	اقتصاديات الخليج العربي في العصور القديمة	*
١٢٣	العلاقة بين دلمون والمدن العراقية الجنوبية	*
١٤٥	الجنة او دلمون هل هي في بلاد الهند	*
١٥٥	دلمون او الجنة هل هي في بلاد فارس	*
١٥٩	المصادر والمراجع التي رجع إليها الكاتب	*

البحث عن جنة الفردوس

دراسة في أساطير الحضارات القديمة

ظل موضوع الكتابة عن جنة الخلود أو الفردوس القديم أو "دلمون" في الحضارات القديمة أمراً شيقاً وصعباً في ذات الوقت وتكمن أهميته في كونها تحيلنا إلى مساحة كبيرة من الخيال الأسطوري والأدبي القديم بالإضافة إلى احتلالها مساحة أكبر من الخطاب الفكري أو الفلسفي أو العقيدي في الديانات الرسالية (اليهودية ، المسيحية ، الإسلامية) وعلى الرغم من أن فكرة الجنة والحصول عليها أو الاستقرار فيها كثواب للأعمال الصالحة كانت هي جوهر فكرة الخلود في الخيال الفكري والديني والأسطوري في الحضارات القديمة ، إلا أنها لازالت بحاجة إلى تأصيل بحثي .

وقد سعت هذه الدراسة إلى إبراز الآراء التي حاولت أن تحدد البعد الزماني والمكاني لفكرة الجنة ، ومناقشة بعض الروايات والآراء وأسانيدها الأثرية والجغرافية والتاريخية والتي وإن اختلفت في تحديد مكان الجنة لكنها اتفقت على شيوع فكرة الخلود في الخيال الأسطوري والديني الذي تتبناه في كثير من الحضارات القديمة .

Bibliotheca Alexandrina



0667094